

اجاثا كريستي
رعب في المدينة



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

رعب في المدينة

Murder Is Easy

لم يكن «لوك فيتز ويليام» يصدق ما تزعمه الآنسة «بنكرتون» عن وجود سفاح في القرية الإنجليزية الهادئة ولم يصدق تخمينها في أن طبيب القرية محل اشتباه ! لم يصدق «لوك» تلك المزاعم التي رددتها الآنسة «بنكرتون»، ثم في خلال ساعات علم بمقتلها؛ إذ قام القاتل بطعنها وهرب في الحال. هل كان ذلك مجرد مصادفة ؟ كان «لوك» يظن ذلك حتى قرأ في صحيفة «التايمز» خبرًا يقول: «وفاة الطبيب «هامبلباي» غير المتوقعة».

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338178-X



رعب في المدينة

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

رعب في المدينة

(45)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه ـ لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي ـ دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

Murder is Easy

(1939)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

أخيراً "**إنجلترا**" .. ! بعد غيبة سنوات عديدة .. ترى هل ستروق لي بعد هذه الأعوام الطوال .. ؟ بهذا كان " **لوك فيتز ويليام** " يحدث نفسه وهو يهبط المعبر إلى رصيف الميناء.

إن "**إنجلترا**" لتبدو مختلفة تماماً لمن يقضي فيها عطلة يعود بعدها إلى مقر عمله. ولكنه اليوم قد جاء ليستقر ويبقى .

ها هو ذا الآن قد عاد إلى "**إنجلترا**" ، ليعيش على معاشه الذي يتلقاه من الدولة إلى جانب دخل صغير .

أخيراً "**إنجلترا**" .. "**إنجلترا**" في أحد أيام حزيران (يونيو)، بسمائها التي تغطيها السحب، وبشوارعها التي يغشاها الضباب ومع ذلك فإنه يرحب بها سعيداً راضياً .. والناس .. ! يا إلهي .. ! إنهم حشود متكدسة ثم البيوت .. ! إنها تملأ كل مكان، كأنما هي نبات شيطاني ينبثق من باطن الأرض .

كان هذا ما يدور بخلد " **لوك فيتز ويليام** " والقطار ينهب به الأرض .

وأشاح " **لوك** " ببصره عن المشاهد الطبيعية الرائعة التي تحف بجانبي القطار ، وتناول الصحف التي ابتاعها، ليتصفحها، وبدأ بالـ " **ديلي كلاريون** " .. وكانت أغلب صفحاتها تتناول بإفاضة الحديث عن سباق الـ "**دربي**" . وقال " **لوك** " وفي نفسه في شيء من الأسى : ألا ليتني حضرت بالأمس لأشاهد السباق ، فمنذ كنت في التاسعة عشرة لم أر الـ"**دربي**" .

لقد راهن قبل عودته وهو في النادي على أحد الخيول ، ليرى ما كتبته الصحيفة عن هذا الجواد .

قال الناقد الفني في ازدراء :

أما الجياد الأخرى مثل " **جوجوب** " و " **مارك مايل** " و " **سانتوني** " و "**جيري بوي** " فهي جياد ضعيفة ولا أمل لها إطلاقاً في الفوز بالمراكز المتقدمة

وكان من سوء حظ " **لوك** " أنه راهن على الجواد " **جوجوب** " ، الذي يرى الناقد الفني لصحيفة الـ "**كلاريون**" أنه لا أمل له في الفوز على الإطلاق ..

وقال في نفسه : لقد فات الوقت وبدأ السباق ، ولا يمكن أن أعيد التذكرة..

وتناول الـ"**تايمز** " وانكب على قراءة أخبار أكثر جدية . وتابع القطار طريقه ، ثم ما لبث أن توقف في المحطة التالية .

وتطلع " **لوك** " من النافذة ، ولمح على الكشك الذي يبيع الصحف لوحة تحمل هذا الإعلان .

(نتائج سباق الـ"**دربي**") .

" **جوجوب** " هو الأول " .

إذن فحصانه هو الذي فاز بالمركز الأول .. !

وهب " **لوك** " واقفًا ، وانطلق راكضًا إلى رصيف المحطة ليشتري صحيفة الـ"**كلاريون** " .

نشر الصحيفة ، وهو مازال واقفًا على رصيف المحطة ، وأخذ يتصفح الأنباء. "**جوجوب** " هو الذي فاز بالمركز الأول .. جواده هو الأول .. ! على الرغم مما قاله الناقد الفني للـ" **كلاريون** " .. ترى ما الذي يقوله الآن .. ؟

ها هو ذا يقول إن فوز هذا الجواد مفاجأة مذهلة لجميع النقاد . مفاجأة مذهلة لـ " **لوك** " نفسه ؛ إذ معنى ذلك أنه ربح مائة جنيه .

إنه إذن يستطيع أن يلهو ويمرح بهذه المائة جنيه التي جاءته على غير توقع.

إنه يستطيع أن يبددها كيفما شاء ..

واستدار راجعًا إلى قطاره .. ولكن القطار لم يكن في موضعه عند الرصيف. لقد اختفى القطار ، ولم يعد له أثر .. تابع مسيرته دون أن يفطن له "**لوك** " ، وهو غارق في قراءة أنباء السباق .

وبادر إلى أحد الحمالين ، وقال يسأله :

– بحق السماء، أين ذهب القطار .. ؟!

فتطلع إليه الحمال العجوز وأجاب في تبلد :

– القطار .. . أي قطار .. ؟

فقال "**لوك**" وفي نبرته شيء من الدهشة :

– منذ لحظات كان القطار واقفًا هنا ! قطار الميناء السريع .

وهز الحمال رأسه في استنكار وقال :

– إن قطار الميناء السريع لا يقف إلا في "**لندن** " .

– ولكنه وقف هنا منذ لحظات .. وأنا نفسي كنت راكبًا فيه ، ونزلت لأشتري الصحف .

– ما كان ينبغي أن تنزل من القطار .. إنه لا يتوقف هنا .

– ولكنه توقف فعلاً .

– لم تكن " الإشارة " مفتوحة أمامه ليواصل طريقه ، فتوقف حتى يخلو له الطريق .

وقال " **لوك** " وقد ضاق صدره :

– إني بالتأكيد لا أفهم هذه المصطلحات الفنية .. إشارة .. إخلاء طريق .. المهم أن القطار توقف ، وأنني نزلت منه ، فما العمل الآن .. ؟

فأجابه الحمال في لهجة من حل لغزًا عويصًا :

– يمكنك أن تسافر بقطار الساعة الرابعة وعشرين دقيقة .

– إذا كان قطار الساعة الرابعة وعشرين دقيقة يذهب إلى "**لندن**" فهو القطار الذي يصلح لي .

وأخيرًا .. قبيل الساعة الرابعة وعشرين دقيقة بدقيقتين اثنتين وصل إلى محطة "**فيني** " قطار الساعة الرابعة وعشرين دقيقة .

وقال له الحمال العجوز وهو يشير إلى القطار :

– هذا هو قطارك .

كانت عربات الدرجة الثالثة مزدحمة ومكدسة ، أما عربات الدرجة الأولى فمكونة من ثلاث مقصورات ، كانت جميعها مشغولة بنفر من المسافرين .

وانتهى به الأمر أخيراً إلى مقصورة ليس فيها إلا سيدة عجوز ذكرته بعمته "**ميلديد** " التي كانت تحنو عليه في طفولته ، فلم يتردد في الدخول إلى المقصورة.

وبدأ القطار يتحرك متمهلاً ، ونشر " **لوك** " الصحيفة أمام عينيه ، ومضى يتصفح ما يعنيه من أنباء . .

كان يعلم أن السيدة لن تلبث أن تقطع عليه قراءته، فما من سيدة عجوز تركب قطاراً إلا وكانت راغبة في أن تثرثر مع من يشاطرها المقصورة .

ولم تلبث السيدة أن سألته أن يغلق النافذة ففعل ، ثم سألته أن يلتقط مظلتها التي انزلقت تحت المقعد ففعل، ثم أنشأت تحدثه عن القطار . قالت :

– هذا القطار يستغرق في الوصول إلى "**لندن**" ساعة وعشر دقائق فقط . . إنه أفضل ألف مرة من قطار الصباح الذي يستغرق ساعة إلا ثلثا .

ثم استطردت :

– إن الناس جميعًا يؤثرون قطار الصباح وكان في نيتي أن أستقله إلى "**لندن**" لولا أن "ووني" اختفت ، فاضطررت إلى أن أضيع وقتًا في البحث عنها حتى عثرت عليها ففاتني القطار . .

وكان " **لوك** " يستمع إلى حديثها ، ويومئ برأسه من حين لآخر ؛ تأدبًا ومجاملة.

وتابعت السيدة العجوز حديثها بقولها :

– "ووني" هي قطتي .. إنها قطة فارسية جميلة، وبالتأكيد . . .لا يمكن أن أسافر دون أن أجدها .

فقال "**لوك**" وهو يرخي عينيه إلى صحيفته :

– بالتأكيد .. بالتأكيد ..

ولكنها لم تدعه يتم قراءته ، بل استطردت قائلة :

– من حسن الحظ أن هذا القطار ليس مزدحمًا ؛ فإني أكره المقصورات المزدحمة.. إن من عادتي أن أركب عربات الدرجة الثالثة ، أما الدرجة الأولى فلا أقربها إلا نادراً .

ثم سألته :

– الا ترى أن ركوب الدرجة الأولى إسراف لا داعي له .. ؟

فأجاب مجاملاً :

– بدون شك إسراف لا داعي له . ولم تكف ، وإنما عاودت الحديث قائلة :

– إني مسافرة إلى "**لندن**" في عمل مهم .. مهم جدًا . وأريد أن أفكر فيما ينبغي أن أقول ، وإذا ازدحمت المقصورة، استعصى عليّ أن أفكر في هدوء .

فقال " **لوك** " تأدبًا :

– هذا صحيح . ومضت السيدة العجوز تقول :

– إن الضباط يركبون الدرجة الأولى في أثناء عطلاتهم .. مجانًا بالتأكيد .. إنك ضابط فيما أرى .. ؟

فهز رأسه سلبًا وأجاب :

– كلا .. إنني جندي بسيط ولست ضابطًا .

– لقد لاحظت أن وجهك قد لوحته الشمس ، فحسبتك ضابطًا قادمًا من الشرق.

فأجابها " **لوك** " :

– أصبت في قولك. إنني قادم من الشرق ولكنني لست في عطلة .. إنني شرطي.

وهتفت المرأة في جذل واغتباط :

– أنت شرطي .. يا لها من مصادفة عجيبة !

وأراد " **لوك** " أن يبادر فيدلي إليها بكل ما لديه من معلومات دون أن ينتظر أسئلتها المتعاقبة ، حتى يفرغ منها ويعود إلى صحيفته .

فقال :

– شرطي في " **مايانج** " .

فعادت العجوز تردد :

– مصادفة عجيبة .. ! أعني سفرك في هذا القطار وجلوسك في هذه المقصورة بالذات دون غيرها .

واستطردت :

– اتدري أنني ذاهبة إلى "**لندن**" في شأن يخص الشرطة ؟ إنني ذاهبة الآن رأسًا إلى "**اسكتلانديارد**" .

فقال " **لوك** " وهو لا يبالي مثقال ذرة إن كانت ذاهبة إلى "**اسكتلانديارد**" أو إلى الجحيم :

– حقًّا.. ؟

وكان يقول في نفسه متبرمًا وقد ضاق بها صدره : "أتراها ستستمر في حديثها حتى نصل "**لندن**" أم أنها ستكف عن ثرثرتها" .

وقالت المرأة وقد حسبت أنه متلهف إلى سماع قصتها :

– ترى هل تغلق "**اسكتلانديارد**" أبوابها بعد الظهر ، فلا يعمل رجالها إلا في فترة الصباح .. ؟

فقال " **لوك** " :

– أعتقد أن أبواب إدارة الشرطة مفتوحة باستمرار .. طوال الليل والنهار .

وقالت العجوز :

– أعتقد أنه من الصواب أن يلجأ المرء دائمًا إلى كبار الرؤساء عندما يريد الإبلاغ

عن جريمة .

فرد " **لوك** " :

– هذا هو الصواب كما تقولين .

واستطردت المرأة :

– كان في وسعي – بالتأكيد – أن أذهب إلى " **جون ريد** " وأفضي إليه بما في نفسي ... ولكن " **ريد** " لا يصلح لمثل هذه المهمة .. إنه شرطي ريفي في بلدتنا كل عمله تحرير المخالفات للسيارات المسرعة، أو للسكارى، أو المشاجرات الخفيفة . أما جرائم القتل فلا شأن له بها ولا يصلح لها .

قال " **لوك** " متسائلاً في دهشة :

– جرائم القتل .. ؟ !

وأومأت العجوز برأسها في حماس وقالت :

– نعم .. جرائم قتل .. ! إنك دهشت فيما أرى ، وأنا نفسي ذهلت في بداية الأمر ، وكذبت نفسي .. لقد ظننت أنني أتخيل أشياء لا وجود لها .

فقال لها " **لوك** " في رقة ودعة :

– أموقنة أنت من أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تخيل منك .. ؟

فهزت رأسها سلبًا في يقين ، وقالت :

– كلا، كلا .. كان يمكن أن أكون واهمة عند وقوع الجريمة الأولى ، أما عند وقوع الجريمة الثانية، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، فكيف أكون واهمة .. ؟

فسألها " **لوك** " وقد استبد به الاستغراب :

– أتريدين أن تقولي إنه وقعت في بلدتك أربع جرائم قتل .. ؟ إذن فهو قتل بالجملة ..؟

فأجابته العجوز في صوت هادئ النبرات :

– تمامًا .. إنها جرائم بالجملة .

ثم استطردت :

ولهذا رأيت من الصواب أن أتجه مباشرة إلى "**اسكتلانديارد**" دون أن ألتجئ إلى رجال الشرطة المحليين .. ألا ترى أن هذا خير ما أفعل .. ؟

فأجابها " **لوك** " :

ـ أعتقد أن هذا تصرف حكيم منك .

وقال في نفسه : "لشد ما يشط الخيال بالسيدات المتقدمات في السن .. "

وانتزعه من خواطره صوت العجوز وهي تقول :

ـ إني أذكر أنني قرأت يومًا عن الجرائم التي ارتكبها " **أيبر كرومبي** " .. لقد قتل بالسم عدداً كبيراً من الأشخاص ، قبل أن تتطرق إليه الشبهات ..

قالوا إنه كان يكفي أن ينظر إلى شخص آخر نظرة معينة ، فإذا بهذا الشخص يمرض بعد هذه النظرة بفترة وجيزة .

ولما رأت " **لوك** " يتطلع إليها بعينين يتجلى فيهما الاستنكار وعدم التصديق قالت :

ـ إنني نفسي لم أصدق مسألة " العين " عندما قرأت هذا الكلام .. ولكنه أمر حقيقي .

فسألها " **لوك** " :

ـ ما هذا الشيء الحقيقي .. ؟

ـ " العين " بالتأكيد .. إنها تستطيع أن تقتل .

وحملق إليها " **لوك** " مشدوهًا ، فرآها ترتعد ، وقد غاضت الدماء من وجنتيها..

واستطردت العجوز وفي صوتها نبرة من الرعدة :

ـ حدث هذا أول الأمر مع " **إيمي جيبس** " وماتت، ثم مع " **كارتر** " ومات أيضًا، وبعدئذ مع " **تومي بيرس** " .. أما الآن ، أعني بالأمس ، فقد حل الدور على الدكتور " **هامبلباي** " . وهو رجل طيب ، ولا ينبغي أن يموت .. إنه يحب

الأطفال ويحنو عليهم ، ويعالج الفقراء مجانًا . اما " **كارتر** " فكان سكيرًا مدمنًا للشراب، و" **تومي بيرس** " كان شابا وقحا مشاكسًا ، فلم أشعر بأسى لموتهما .. أما الدكتور " **هامبلباي** " فأمره مختلف تمامًا .. ولذلك رأيت أن أبادر إلى إنقاذه والمشكلة أنني إذا ذهبت إليه وكشفت له عما بنفسي ، فسوف يرميني بأنني امرأة مخرفة ، أتوهم أشياء لا أثر لها من الحقيقة .. وكذلك سوف يفعل الشرطي "**جون ريد** " ، فإنه لا خبرة له بالجرائم أما رجال "**اسكتلانديارد**" فمرت بهم تجارب عديدة .

وتطلعت من النافذة وهتفت :

– أوه ! إن القطار يوشك أن يصل إلى "**لندن**" . وهمت بجمع حاجاتها ومظلتها، وعاونها " **لوك** " في الأمر ، فشكرته وقالت :

– شكرا لك على أنك استمعت إلى حديثي .. إنني ذاهبة الآن من فوري إلى "**اسكتلانديارد**" .

واستطردت وهي تفتح حقيبتها وتبحث فيها :

– يؤسفني أنه ليس معي إلا بطاقة تعريف واحدة يجب أن أحتفظ بها لرجال "**اسكتلانديارد**" .. إن اسمي على أية حال هو " **بنكرتون** " .

فانحنى " **لوك** " أمامها تحية وهو يقول :

– أما أنا فاسمي " **لوك فيتز ويليام** " .

ثم أردف :

– أتريدين أن أستدعي لك سيارة أجرة .. ؟

فأجابته في لهجة عتاب ولوم :

– ولم هذا الإسراف .. ؟ سوف أستقل المترو إلى ميدان " **ترافالجار** " ثم أسير بقية المسافة .

فقال لها :

– أتمنى لك التوفيق . فردت بقولها :

– لقد خيل إليّ في البداية أنك لم تصدق أية كلمة مما قلت . وأنت محق في هذا ما دام الأمر متعلقًا بجرائم متعددة . ولكني أحب أن أؤكد لك أن القتل من أسهل الأمور ، خاصة إذا كان القاتل هو أبعد الناس عن الشبهة .

قال في نفسه : "لا أعتقد أنها امرأة مخبولة .. كل ما في الأمر أن الخيال جمح بها" .

- 2 -

كان " **جيمي لوريمير** " من أعز أصدقاء " **فيتز ويليام** " ، فكان من المؤكد أن ينزل في مسكنه فور وصوله .

وفي صباح اليوم التالي جلس الصديقان يحتسيان القهوة وقد فرغا من تناول الفطور . وتوجه " **جيمي** " إلى صديقه بسؤال ما ، ولكن " **لوك** " لم يرد عليه؛ إذ كان ذهنه شاردًا منصرفًا كل الانصراف إلى خبر في الصحيفة التي بين يديه .

وعاد " **جيمي** " يسأله في صوت أعلى نبرة :

– ما الذي يشغلك يا " **لوك** " .. ؟

وابتسم " **لوك** " ابتسامة واهنة وأجاب :

– إنها سيدة عجوز شاطرتني مقصورتي في القطار بالأمس . لقد نشرت الصحيفة خبرًا عنها .. دهمتها سيارة وهي تعبر الطريق ، فماتت لساعتها، وفر السائق هاربًا .

– وكيف لك أن تعرف أنها نفس السيدة ؟

– من المحتمل أن تكون امرأة أخرى .. ولكنها تدعى " **بنكرتون** " على أية حال .

فقال " **جيمي** " :

– مسكينة . .

وذات صباح – و " **لوك** " يطالع صحيفة الـ"**تايمز** " – لم يملك إلا أن أرسل شهقة عالية . وتحوَّل إليه " **جيمي** " يسأله :

– لِمَ شهقت . . ؟ أي شيء في الـ"**تايمز** " أدهشك . ؟

وكان " **لوك** " يحملق إلى الصحيفة ، وبصره مستقر على سطر معين فيها .

ورفع " **لوك** " بصره عن الصحيفة ، وتطلع إلى صديقه برهة صامتًا لا يتفوه بشيء، و " **جيمي** " يتامله في دهشة وقال " **لوك** " :

– أتذكر يا " صديقي " أنني حدثتك عن سيدة عجوز شاطرتني مقصورة القطار يوم وصولي .

فأجاب " **جيمي** " :

– السيدة التي دهمتها سيارة .

– تمامًا . . لقد حدثتني هذه السيدة في أثناء مسيرة القطار عن اعتزامها الذهاب إلى "**اسكتلانديارد**" لتفضي إليهم بما اكتشفته عن ارتكاب جرائم قتل بالجملة في قريتها . . لقد قالت لي إن في قريتها قاتلاً طليقًا .

– إذن فهي امرأة مخبولة دون شك . . طالما تتحدث عن جرائم قتل بالجملة .

– لا أعتقد هذا ، وإنما خُيِّل إليّ أنها امرأة مغرقة في الوهم يشط خيالها . والآن أرى أنها كانت على حق .

فضحك " **جيمي** " وقال في سخرية :

– إذن فأنت أيضًا أصبحت مخرفًا . . ؟

– استمع إليّ أولاً . . لقد ذكرت في حديثها معي اسم شخص أو شخصين من الضحايا ، ثم أشارت إلى اسم الضحية الثالثة التي تتوقع لها أن تقتل . ولقد مات الرجل الذي توقعت العجوز أنه سيقتل .

– حقًّا.. ؟ ومن يكون هذا الرجل .. ؟

ودفع " **لوك** "إلى صديقه بصحيفة الـ"**تايمز** " ، وهو يشير إلى أحد السطور . وقرأ " **جيمي** " الخبر الذي أشار إليه " **لوك** " وكان هذا نصه :

" في يوم 13حزيران (يونيه) مات فجاة في مسكنه في " **ساند جيت** " في "آش " الدكتور " **إدوارد هامبلباي** " ، وهو زوج السيدة " **جيسي روز هامبلباي**" .

وستشيع الجنازة يوم الجمعة " .

وقال " **لوك** " :

– أرأيت يا " **جيمي** " .. نفس الاسم .. ونفس المكان ..

– لا شيء أكثر من أن الأمر مجرد مصادفة .

– كل هذه الأحداث مجتمعة لا يمكن أن تكون مصادفة .

واستطرد " **لوك** " يقول وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابًا :

– لنفترض أن ما أفضت إليّ به هذه العجوز لم يكن أوهامًا أو تخيلات ولنفترض أنها كانت صادقة .

– أتراك أنت أيضا أصبحت مخرفًا ؟ ألا يمكن أن تنسى أنك كنت شرطيا ؟

فقال " **لوك** " ضاحكًا :

– من كان شرطيا في يوم من الأيام يظل شرطيًّا طوال حياته . والآن استمع إليّ.. هذه العجوز حدثتني بأن في بلدتها قاتلاً مجهولاً قتل ثلاثًا من الضحايا دون أن يشتبه فيه أحد ، ثم قالت إن الدور حل الآن على الدكتور " **هامبلباي** " ، وفعلاً مات الطبيب فجاة بعد أيام .. والسيدة " **بنكرتون** " كانت ذاهبة إلى " **اسكتلانديارد**" للإبلاغ عن هذه الجرائم ، وفيما هي تعبر الطريق دهمتها سيارة قضت عليها لساعتها، ولكن السائق فر هاربًا . أي من المحتمل أنه دهمها عمداً ليحول دونها والاتصال بالشرطة .

فتساءل " **جيمي** " :

– وما يدريك أن السيارة دهمتها قبل أن تزور "**اسكتلانديارد**" .

– أغلب ظني أنها قتلت قبل الاتصال بالشرطة .

فتساءل " **جيمي** " :

– ما الذي تريد أن تنتهي إليه .. ؟

– ما أريد ان اقوله هو أن هذه الوقائع تحتاج إلى مزيد من التحريات لبيان حقيقتها الكامنة .

– لعلك تريد أن تقول إنك ستلجأ إلى "**اسكتلانديارد**" للقيام بهذه التحريات .

– كلا يا صاح .. وإنما أردت أن أقول إنني أنا نفسي سأتولى هذه التحريات .. سأذهب بنفسي إلى مسرح هذه الأحداث، لأتبين الحقيقة . وحملق إليه " **جيمي** " في دهشة واستغراب وقال :

– ولكن ألديك خطة معينة .. ؟ أعني أنه يجب أن تلتمس حجة تقنع بها الناس بضرورة وجودك في مثل هذه البلدة الصغيرة ، وإلا اشتبه القاتل في أمرك .

– هذا صحيح .. فلو أنني كنت رساماً لزعمت أنني جئت أرسم بعض المشاهد الطبيعية .

واستطرد " **لوك** " :

– هل أقول إنني مؤلف يريد أن يخلو بنفسه ليضع كتاباً .. ؟ هل أقول إنني أبحث عن بيت ريفي أشتريه لأقيم فيه بعد إحالتي إلى المعاش .. ؟

وهتف " **جيمي** " في ابتهاج وهو يطرقع بأصابعه :

– انتظر .. لقد وجدت الحل .. وسيكون الأمر هيناً سهلاً .

وتطلع إليه " **لوك** " يحدوه الأمل .

واستطرد " **جيمي** " :

– إن لي ابنة عم تقيم في " **آش** " أي بنفس البلدة .. فيمكنك أن تقيم في بيتها، زاعمًا أنك ابن عم لها ، وسأبعث إليها بخطاب في هذا الشأن .

كان " **لوك** " يصغي إلى " **جيمي** " في انتباه وهو يتابع الحديث .

– ابنة عمي تدعى " **بريدجيت كونواي** " و في خلال العامين السابقين كانت تعمل سكرتيرة للورد " **هويتفيلد** " .

– صاحب المجلات الأسبوعية التي تصدر في الأرياف .. ؟

– تمامًا .. هو بعينه ،و" **آش** " هي البلدة التي ولد فيها، ولما كان رجلاً مغروراً ومولعًا بالتباهي ، فقد اتخذ من موطنه الأصلي مقامًا له؛ لكي يري أصحابه الذين نشأ بينهم مغموراً، أنه أصبح غنيًا . وقد استطاعت " **بريدجيت** " أن توقعه في شباكها ، فاصبحت خطيبته .

– وهل في القرية فندق يمكن أن أقيم فيه .. ؟

– بل إنك ستقيم في قصر اللورد " **هويتفيلد** " نفسه – فابنة عمي تقيم في نفس القصر – على أنك ابن عمها .

– ولكن ما الحجة التي سأتذرع بها للإقامة في هذه القرية .. ؟

– يمكنك أن تزعم أنك تضع كتابًا عن العادات والتقاليد القديمة وعن الأعمال السحرية في " **إنجلترا** " ، فلقد كانت " **آش** " في يوم من الأيام هي مقر الاجتماع السنوي الذي يعقده السحرة .

– الحق أنك هونت عليّ الأمر .

– خدمة تافهة أؤديها لصديق عزيز اختل عقله، فتوهم أن الأوهام التي حدثته عنها السيدة " **بنكرتون** " حقائق قاطعة .

فضحك " **لوك** " وقال :

– ما يدريك أن هذا الذي تسميه وهمًا قد ينقلب فعلاً حقيقة قاطعة . إنني

مازلت أذكر آخر عبارة نطقت بها السيدة " **بنكرتون** " وهي تودعني منصرفة : " إن القتل أمر سهل .. سهل جدًا " .

وسوف نرى إن كان سهلا أم صعبًا عويصًا .

- 3 -

كانت الشمس تغمر الأرض بأشعتها المتوهجة حين وصل " **لوك فيتز ويليام** " إلى قرية " **آش** " في سيارته العتيقة التي اشتراها خصيصاً لهذه الرحلة .

ورأى فندقًا صغيرًا باسم "**فندق الأجراس** " ثم مر ببناء عتيق من الطراز القديم ، ببابه لوحة تدل على انه مقر المكتبة والمتحف . ويقوم بعده مبنى عصري، وعرف "**لوك** " من اللوحة التي تعلوه أنه مقر المعهد ونادي الشبان . فتوقف عنده ، واستفسر عن قصر اللورد " **هويتفيلد** " ، فأرشدوه إليه .

وتابع " **لوك** " طريقه إلى القصر ، وتبينه بسهولة .. فأوقف سيارته أمام البوابة ونزل منها . وفجأة برزت إليه من داخل الحديقة فتاة جميلة ، سوداء الشعر ، تشع عيناها ذكاء، وكانت طويلة القامة ذات قوام متناسق جميل .

ابتدرته الفتاة قائلة :

– لا شك في أنك السيد " **لوك فيتز ويليام** " .. ؟ إنني " **بريدجيت كونواي**" . وتناول " **لوك** " بين كفيه اليد التي بسطتها إليه ، وشد عليها بحرارة . وقال لها "**لوك** " في لهجة رقيقة :

– يؤسفني أن أفرض عليك نفسي ، ولكن " **جيمي** " أكد لي أنه لن يضيرك أن تستضيفيني بضعة أيام .

فقالت الفتاة في نبرة مرحة بسيطة :

– بل إننا سعداء باستقبالك .. أعني أنا واللورد " **هويتفيلد** " .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة واستطردت :

- إنني و " **جيمي** " متضامنان دائمًا ، لا يرفض أحدنا للآخر مطلبًا .. وإذا كنت بسبيل تأليف كتاب عن السحر والتقاليد الشعبية ، فـ " **آش** " أنسب مكان لهذا الغرض ، ففيها كل أنواع الأساطير ، فقد كانت في يوم من الأيام مقرًا لجميع سحرة "**إنجلترا**" ، يمارسون فيها ألاعيبهم وشعوذتهم . فعقب " **لوك** " في ابتهاج :

- هذا ما كنت أنشده .

وصحبته الفتاة إلى البيت ، وجعل يتأملها خلسة وهما يسيران معًا، جنبًا إلى جنب .

إنها أجمل مما تصور في بداية اللقاء ، وهي دون شك في الثامنة والعشرين من عمرها ، ويبدو أنها شديدة الذكاء .

ومضت به " **بريدجيت كونواي** " إلى قاعة كبيرة ، في ركن قصي منها مائدة صفت عليها أواني الشاي ، وإليها يجلس رجل وسيدة يتبادلان الحديث .

وقالت الفتاة :

- " **جوردون** " .. هذا هو " **لوك فيتز ويليام** " أحد أبناء عمومتي .

ورفع اللورد " **هويتفيلد** " بصره إلى ضيفه مرحبًا .

- إني سعيد بمقابلتك .. إنك قادم لتوك من بلاد الشرق كما بلغني .. ؟ لقد أخبرتني " **بريدجيت** " أنك تؤلف كتابًا في هذه الأيام ، فأرجو لك التوفيق .

وتحولت الفتاة إلى السيدة الجالسة مع اللورد وقالت :

- هذه هي عمتي السيدة "**انستروذو** " .

وصافح " **لوك** " السيدة الكهلة ذات النظرات البلهاء، وعلم " **لوك** " فيما بعد أن السيدة " **انستروذو** " مولعة بفلاحة البساتين ، وأنه لا حديث لها إلا عن زراعة الحدائق ، فهو الحديث الوحيد الذي يروق لها .

وعادت العمة الكهلة تتم حديثها مع اللورد بقولها :

- أتعرف يا " **جوردون** " أن أنسب مكان لزراعة الزهرة الصخرية هو الموضع

الملاصق تمامًا لحوض الورد الأحمر .

وتراخى اللورد " **هويتفيلد** " في مقعده الوثير وهو يقول :

– يمكنك أن تتفقي في كل هذه الأمور مع " **بريدجيت** " .

فانبرت الفتاة تقول في لهجة مهذبة :

– الزهرة الصخرية لا تلائم ذوقك يا " **جوردون** " ، فإنها صغيرة الحجم ، وأنت لا تحب من الأزهار إلا ما كان كبيرًا ضخمًا .

وصبت " **بريدجيت** " قدحًا من الشاي قدمته إلى " **لوك** " ، في حين قال اللورد " **هويتفيلد** " :

– إنك على حق ، فإني لا أحب إلا الأزهار الضخمة . بيد أن السيدة "**انستروذو**" تابعت الحديث دون أن تهتم بهذه الاعتراضات، مصرة على زراعة الزهرة الصخرية بجانب الورد الأحمر . ولم تهتم "**بريدجيت** " بأن تعترض مرة أخرى على رأي عمتها ، في حين تحول " **هويتفيلد** " إلى " **لوك** " ليغير مجرى الحديث قائلاً :

– إذن فمهنتك هي الكتابة وتأليف الكتب .. طالما راودتني أنا نفس الرغبة في أن أؤلف كتابًا ولكني لم أفعل ؛ فلا وقت لدي لمثل هذا العمل .

فقال " **لوك** " مجاملاً :

– لا شك في هذا ، فإنك تتولى أعمالاً ضخمة متشعبة .

– صدقت ... إنك لا يمكن أن تتصور مدى الأعباء التي تثقل كاهلي ، فإني أعرف أن ما تكتبه صحفي ومجلاتي ينطبع في ذهن الجماهير التي لا تلبث أن تتبنى أفكاري ، وهذه مسؤولية جسيمة تجاه الرأي العام .

فقالت " **بريدجيت** " تثني على اللورد :

– إنك في الحق لرجل عظيم يا "**چوردون**" .

– إنني فعلاً رجل عظيم .

والتفت اللورد إلى ضيفه قائلاً :

– أتعرف أحداً في هذه الناحية يا ترى .. ؟

واغتنم " **لوك** " هذا السؤال فرصة لكي يبدأ المهمة التي جاء من أجلها فقال :

– إنني أعرف على الأقل صديقًا واحداً، وفي نيتي أن أزوره ... إنه الدكتور "**هامبلباي** " . فقال اللورد " **هويتفيلد** " وهو يعتدل في مقعده :

– يؤسفني أن أخبرك أنه مات منذ أسبوع .

فقال " **لوك** " متظاهراً بالأسى :

– حقًّا... ؟ هذا شيء محزن ..

فقال اللورد :

– لقد كان – على أية حال – رجلاً سخيفًا، عنيد الرأي، أحمق التفكير .

فانبرت " **بريدجيت** " تقول وهي تبتسم :

– هذا معناه أن الدكتور " **هامبلباي** " لم يكن يشاطر " **جوردون** " آراءه .

فقال اللورد :

– لقد اختلفنا في الرأي بشأن مرفق المياه .. إنني يا سيد " **فيتز ويليام** " رجل أحب أهل هذه القرية وأحرص على مصلحتهم ، فقد ولدت في هذه القرية ، فهي أثيرة عندي ، حبيبة إلى قلبي .

واستطرد اللورد :

إنني لا أخجل من الانتساب إليها ، ولا أتبرأ من منشئي.. كان أبي صاحب حانوت لبيع الأحذية، أما أنا فكنت أعمل في دكان لمسح الأحذية . أما الآن فأنا اللورد " **هويتفيلد** " .

وانبرى اللورد يسهب في الحديث عن صباه وعن كفاحه وعما فعله حتى بلغ هذه المرتبة الرفيعة .

واستطرد يقول :

– عندما اشتريت هذا القصر عهدت إلى أحد المهندسين بإصلاحه ، فأراد أن يضفي عليه مسحة عصرية حديثة ، ولكنني أبيت في إصرار ، فقد كنت طوال عمري تواقًا إلى سكنى إحدى القلاع . وطردت هذا المهندس ، وجئت بغيره ، إلى أن وقعت على مهندس أدرك ما أبغي ، فرمم القصر دون أن يغير طابعه .. إنني رجل أعرف كيف أحقق رغباتي .

فقالت " **بريدجيت** " تذكره :

– ولكنك عجزت عن أن تحقق رغبتك بشأن مرفق المياه في القرية .

فقال " **لوك** " :

– يبدو أن الدكتور " **هامبلباي** " كان رجلاً صريحًا، مما خلق له – فيما أتصور – كثيراً من الأعداء .

فرد اللورد بسرعة قائلاً :

– لا أظن ذلك .. ولكن ما رأيك أنت يا " **بريدجيت** " ؟

فأجابت الفتاة :

– الذي أعرفه أن الدكتور " **هامبلباي** " كان محبوبًا من الناس جميعًا .

فقال اللورد :

– تمامًا... إنه كان محبوبًا على وجه العموم .. وإن كنت أعرف أن هناك شخصًا أو شخصين على الأقل كانا يمقتانه .. إنهما من نفس طرازه .. عنيدان أحمقان .

فتساءل " **لوك** " :

– وهذان الشخصان يقيمان هنا .. ؟

وأومأ اللورد برأسه إيجابًا وهو يقول :

– إن في هذه القرية على الرغم من صغرها عدة جماعات متنازعة يستحكم بينها الخلاف .

وقال " **لوك** " متسائلاً في شيء من التردد :

– ما طراز الناس الذين يقيمون في هذه القرية ؟

فأجاب اللورد :

– إنهم جميعًا – تقريبًا – من الطراز القديم : رجال الدين وأسرهم من بنات وأخوات وزوجات .... إن النساء هنا ستة أضعاف الرجال . ومن هؤلاء السيد "**أبوت**" المحامي ، والدكتور "**توماس**" الطبيب الشاب وشريك الدكتور "**هامبلباي**" ، والسيد "**ويك**" راعي الكنيسة، ثم السيد "**الزويرثي**" بائع التحف وهو رجل غاية في الرقة والمجاملة، وأيضًا النقيب "**هورتون**" وكلابه البولدوج .

وقال "**لوك**" :

– أظن أن بعض أصدقائي حدثوني عن سيدة ثرثارة تعيش في هذه القرية وتدعى فيما أذكر السيدة "**بنكرتون**" .

فانبرت "**بريدجيت**" تقول :

– إن نصف نساء هذه القرية شغوفات بالقيل و القال .

وقال اللورد :

– إن حظك سيئ هذه المرة أيضًا ، فقد دهمتها سيارة في "**لندن**" فماتت في الحال.

فقال "**لوك**":

– أوه ! يبدو أن هذه القرية منكوبة بالكثير من الوفيات .

فقال اللورد:

– بالعكس .. إنها قرية صحية .. أما الموت نتيجة حادث فشيء مختلف .

فقالت "**بريدجيت**" :

– الا تذكر يا "**جوردون**" أنه كانت هناك وفيات في العام الماضي .. ؟

فتساءل "**لوك**":

وهل مات الدكتور "**هامبلباي**" نتيجة حادث أيضًا .. ؟

– لا ، وإنما مات متسممًا من خدش بمسمار صدئ .

فقالت "**بريدجيت**" .

– حتى الأطباء يموتون شأن غيرهم من الناس ... مسكينة زوجته ... لقد كانت وفاته صدمة مفجعة لها .

- 4 -

عندما هبط "**لوك**" إلى قاعة المائدة في ذلك الصباح ليتناول فطورهو كان قد تدبر خطته تمامًا .ولم تكن العمة الشغوفة بفلاحة البساتين موجودة ، أما اللورد "**هويتفيلد**" فكان يحتسي قهوته ، في حين كانت "**بريدجيت**" عند النافذة تتطلع منها .

وجلس "**لوك**" يتناول فطوره ثم قال :

– أظن أنه يجب أن أبدأ اليوم في العمل .

ثم مالبث أن أردف وهو يهز كتفيه متبرمًا :

– الصعوبة التي ستواجهني هي كيف أحمل الناس على الكلام ، فالمرء عندما يسأل يحاول دائمًا ان يكون كتومًا متحفظًا، ولكنه يكون صريحًا ولايكتم شيئا إن سئل عن الخرافات.. فهو يقول كل مايعرف .

فقال "**هويتفيلد**" :

– أصبت ... السبب في هذا هو الجهل وعدم التثقيف .. ترى هل أخبرتك أنني تبرعت للقرية بمكتبة رائعة ، تعد من أكبر المكتبات الريفية .

وخشي "**لوك**" أن يتحول الحديث إلى هبات " **هويتفيلد**" وتبرعاته ، وأسرع يقول:

– أظن أنه يحسن بي أن أبدأ أبحاثي بدراسة كل ما يتعلق بالموت .. أعني

طقوس الموت وتقاليد الجنائز ونحو ذلك .

فقالت "**بريدجيت**" وهي مازالت عند النافذة تطل منها :

– إن أهل القرى يستمتعون بالجنازات و بالتحدث عنها .

– إذن فلأبدأ .. من هذه النقطة. ترى هل يمكن أن أحصل من الأبرشية على قائمة بأسماء الموتى الذين قضوا نحبهم في الفترة الأخيرة ، وبعدها ألتقي بأقاربهم.

فقالت "**بريدجيت**" :

– إن القس السيد "**ويك**" سيكون سعيداً بأن يمدك بما تشاء من معلومات .

– إذن فلابد لي من مقابلته .. ولكن هل لك أن تذكري لي أسماء من ماتوا في قريتكم خلال هذه السنة ؟

فتريثت "**بريدجيت**" برهة تفكر ، ثم قالت :

– إليك الأسماء التي تعيها ذاكرتي .. "**كارتر**" مثلاً ... لقد كان صاحب الحانة الواقعة على النهر .وانبرى اللورد "**هويتفيلد**" قائلاً :

– وهو عاق سكير، كما أنه اشتراكي لعين من الطراز المشاكس .

وعادت "**بريدجيت**" إلى الحديث قائلة :

– ولدينا أيضًا السيدة "**روز**" صاحبة حانوت غسل الثياب ، ثم "**تومي بيرس**" الصبي .. وهو سيئ الخلق لا يحبه أحد ... ثم الفتاة "**إيمي جيبس**" .

وتغيرت نبرة صوتها قليلاً وهي تنطق بهذا الاسم .

ثم استطردت :

كانت وصيفة في القصر هنا ، ثم انتقلت إلى خدمة الآنسة "**وينفليت**" ، وقد أجري تحقيق بشأن موتها .

فتساءل "**لوك**" :

و ما السبب .. ؟

فقال اللورد "**هويتفيلد**" :

– لقد تناولت خطأ في الظلام جرعة من مادة سامة .

فقالت "**بريدجيت**" :

– لقد ظنتها زجاجة دواء السعال على حين كان بالزجاجة سائل لطلاء القبعات.

فتساءل "**لوك**" :

– أتراها أرادت أن تنتحر . . ؟

– هذا ما تبادر إلى الذهن في بداية الأمر ، فقد قام نزاع بينها وبين شاب كانت تهواه .

ولم يغب عن "**لوك**" أن "**بريدجيت**" وهي تتحدث عن "**إيمي جيبس**" كانت لا تتكلم إلا بعد ترو وتفكير .

وتذكر أيضًا أن السيدة "**بنكرتون**" ذكرت له هذا الاسم في أثناء حديثهما في القطار. كما أشارت أيضًا إلى اسم ذلك الصبي المدعو "**تومي بيرس**" . وخيل إليه أنها رددت أيضًا في حديثها اسم "**كارتر**" .

وأراد "**لوك**" أن يكون متحفظًا في تحرياته؛ حتى لا يثير الشبهات فقال :

– إن الحديث عن الأموات يجعلني أشعر كأنني أنبش القبور . فلنتحدث الآن عن عادات الزواج .

واستطرد :

– وثمة موضوع آخر له عندي أهمية كبيرة ... أعني البيوت العتيقة التي تسكنها الأشباح .

فقال اللورد "**هويتفيلد**" :

– لم يبلغني قط أن في القرية بيوتًا مسكونة . .

وقال "**لوك**" :

– يحسن بي أن أبادر إلى مقابلة القس .

وابتعدت "**بريدجيت**" عن النافذة وهي تقول:

– يحسن بي أن أصحبك ، فهل لديك مانع ؟.

وكان لابد أن يجيب :

– كلا بالتأكيد .

– أرجو أن تنتظرني دقائق ريثما أبدل ثيابي .

ولكنه في صميم قلبه كان يؤثر أن يذهب على انفراد ، فإن "**بريدجيت**" على حظ موفور من الذكاء ، ومن المحتمل جداً أن تكتشف من خلال حديثه أن له هدفاً آخر يسعى وراءه خلاف تأليف الكتاب المزعوم .

وبعد فترة كانا يغادران البيت معاً وهي تقول :

– أعتقد أنك كنت في حاجة إليّ لأرشدك إلى الطريق .

وخيل إليه وهي تردد هذه الكلمات أن ابتسامة متهكمة كانت تتلاعب على شفتيها .

وأدار "**لوك**" رأسه يتطلع إلى البيت الذي غادراه منذ لحظات وقال :

– لقد فهمت من صديقي "**جيمي**" أن هذا القصر كان ملكاً لأسرتكم ، فهل يروقك ما فعله به اللورد "**هويتفيلد**" بأن حوّل واجهته إلى ما يشبه القلعة .. ؟

فضحكت الفتاة في مرح وقالت :

– يبدو أنه لابد لي أن أخيب ظنك ، ولذلك يجب أن أقول إنني غادرت هذا القصر وأنا في الثانية من عمري ، ولهذا لا أذكر عنه شيئاً، ولا يعنيني في شيء أن يصبح قلعة أثرية أو مبنى على الطراز الحديث .

ما هي إلا دقائق حتى كانا في حضرة القس .

وقالت " **بريدجيت**" تخاطب السيد "**ويك**" :

– إن السيد "**فيتز ويليام**" مقيم عندنا في قصر اللورد "**هويتفيلد**"وهو يمت إليّ بصلة من القرابة ، ويريد أن يستطلع رأيك في كتاب ينوي أن يؤلفه .

ورحب القس بزائره ، وشرح له "**لوك**" موضوع الكتاب المزعوم ، وأخذ القس يحدثه عن الخرافات القديمة، وعن الطقوس السحرية التي اشتهرت بها هذه القرية ، وعن المؤتمرات التي كان يعقدها السحرة في البلدة كل عام .

فلما أتى على ما في جعبته أخذ " **لوك** " يسأله عمن ماتوا في الأشهر الأخيرة ، وعن الطقوس المختلفة المتبعة في الجنازات ، وقال :

– لقد طلبت إلى الآنسة " **كونواي** " بيانًا بأسماء من ماتوا خلال السنة الماضية، وأحسب أنك أنت الذي تستطيع أن تمدني ببيان أوفى وأشمل .

فأجاب القس :

– بالتأكيد .. بالتأكيد ..لقد مات كثيرون في السنة الماضية ..أكثر من المألوف، فقد كان الشتاء قارس البرودة، فضلاً عن وقوع بعض ميتات نتيجة لحوادث وقعت قضاء وقدراً.

قال " **لوك** " :

– في بعض الأحيان ينسب الناس الشرور التي تقع على غير المألوف إلى وجود أرواح شريرة، أو إلى وجود شخص له طابع مشؤوم .

فقال القس :

– هذا صحيح .. ولكني لا أظن أنه كان في البلدة غرباء في تلك الأشهر .

وتريث القس برهة مفكراً ، ثم قال :

– كان الدكتور " **هامبلباي** " هو آخر الموتى في قريتنا . وقبل ذلك بأسبوع تقريبًا ماتت المسكينة " **بنكرتون** " .... إنها امرأة طيبة. كما أن الدكتور " **هامبلباي** " كان محبوبًا من أهل البلدة .

فقال " **لوك** " :

– ولكن لابد أنه كان له أعداء على أية حال .. هذا ما سمعته من بعض الأصدقاء .

فتنهد القس وقال في نبرة حزينة :

– عيبه عند بعض الناس أنه كان رجلاً صريحًا ، لا يتردد في الإفضاء بما يدور في دخيلة نفسه دون مجاملة .

وقال " **لوك** " :

– إنني لا أملك إلا أن أفكر في أن موت بعض الناس يؤدي إلى كسب يحرزه الآخرون ، ولست أعني بهذا الناحية المالية فقط ، أي الإرث والميراث .

– إنني أدرك ما ترمي إليه يا سيد " **فيتز ويليام** " . و يمكنني أن أشير في هذه المناسبة إلى أن وفاة الدكتور " **هامبلباي** " عادت بالنفع على زميله الدكتور " **توماس** " .

فتساءل " **لوك** " :

– وكيف ذلك ؟

– إن الدكتور " **توماس** " طبيب قدير ، أو هذا على الأقل ما كان الدكتور " **هامبلباي**" يردده عنه ، ولكنه لم يكن موفقًا في عمله؛ إذ كان أهل القرية يؤثرون عليه الدكتور " **هامبلباي** " كما أن " **توماس** " كان يأخذ بطرق العلاج الحديثة العصرية على حين كان " **هامبلباي** " متشبثًا بالطرق القديمة وبسبب هذا كانت تثور بينهما خلافات عنيفة . وثمة أمر آخر ، ولكنه مجرد شائعة ، وأنا رجل لا أحب أن أردد الشائعات .

فانبرت الآنسة " **كونواي** " تقول :

– ولكني أعلم أن السيد " **فيتز ويليام** " يحب أن يسمع هذه الشائعات .

فتململ القس قليلاً ، ثم قال باسمًا :

– فليكن إذن ... إن " **روز هامبلباي** " فتاة جميلة جدًا فلا عجب أن يقع "**جيوفري توماس** " في هواها ، ولكن الدكتور " **هامبلباي** " كان يرى أن الفتاة مازالت صغيرة غريرة ، ولم يتح لها بعد أن تختلط بالناس .

– إذن فقد اعترض على زواجها من " **توماس** " .. ؟

– بكل عناد وصلابة ... وكان هذا أيضًا مثار نزاع جديد بين الرجلين .

– لقد ذكر لي اللورد " **هويتفيلد** " أنه مات متسممًا .

– هذا صحيح .. أصيب بخدش سطحي ما لبث أن تحول إلى غرغرينا قضت عليه .

واستطرد السيد " **ويك** " قائلاً :

– آه ! لقد شردنا بعيداً عن الموضوع الذي كنا نتحدث فيه .. كنت أقول إن السيدة " **لافينيا بنكرتون** " كانت من بين من نزل بهم الموت أيضًا في هذه السنة. وهي سيدة ودود وطالما تبرعت للكنيسة ببعض المال .. ولدينا أيضًا هذه الفتاة المسكينة " **إيمي جيبس** " ، وقد تردد أنها ماتت منتحرة ويمكنك أن تقابل خالتها وتتحدث إليها ، فقد تستقي منها بعض المعلومات .

– سوف أفعل بكل تأكيد .

وتابع القس حديثه قائلاً :

– ثم هناك أيضًا الصبي " **تومي بيرس** " .. إنه لم يكن محبوبًا من أهل القرية؛ فقد كان مشاكسًا شرس الخلق ، وقد كانت ميتته مفجعة ؛ إذ سقط على الأرض جثة هامدة وهو ينظف نافذة عالية في مبنى البريد . وقبل ذلك كان يعمل لدى اللورد "**هويتفيلد** " ، ولكنه اضطر إلى طرده بسبب وقاحته وسوء خلقه . ويبدو أنه حاول وهو واقف على حافة النافذة أن يقوم ببعض الألعاب البهلوانية ، فاختل توازنه ووقع من ارتفاع شاهق .

– وهل رآه أحد وهو يسقط .. ؟

– لا .. فقد كان ينظف نافذة تطل على الفناء الداخلي .

– ومن الذي اكتشف جثته .. ؟

– السيدة " **بنكرتون** " .. فقد حصلت على تصريح بقطف بعض الزهور من

حديقة مبنى البريد فلما دخلت إلى الحديقة وقعت عيناها على الفتى ممدداً على الأرض وهو في النزع الأخير .. وكانت الصدمة شديدة الوقع على المسكينة . فانبرت " **بريدجيت** " تقاطعه بقولها :

– ولكنك تعلم يا سيد "**ويك** " أنه كان فتى شريراً ، يضرب صغار الأطفال ، ويحاول أن يخنق القطط .

فقال القس يؤمن على قولها :

– أعرف ذلك .. أعرف ذلك .. ولكن هذه القسوة يا آنسة " **كونواي** " تعود في أغلب الأحيان إلى أن عقل صاحبها لم يكن قد نضج بعد ، وأنه على الرغم من تقدمه في السن لا يزال يحتفظ بعقل طفل .

فقالت الفتاة في صوت غريب النبرات :

– إنك على حق يا سيد " **ويك** " .. إن الرجل الذي لا يزال طفلاً بعقله هو أشد ما يبعث الخوف في النفس .

وتطلع إليها " **لوك** " ، وراح يسائل نفسه عمن تقصده "**بريدجيت كونواي** " بهذا التلميح ..؟ من ذلك الذي تعنيه بقولها –"الرجل الذي لايزال طفلاً" .. ؟ إنها بالتأكيد لا تقصد اللورد " **هويتفيلد** " على الرغم من أن له بعض التصرفات الصبيانية ، فمن يكون إذن هذا الذي تعنيه .. ؟

- 5 -

استطرد السيد " **ويك** " :

– والآن دعني أتذكر .. آه ! المسكينة السيدة " **روز** " ، و"**بيل** " العجوز ، والطفل اللطيف ابن السيدة " **الكنز** " ثم " **هاري كارتر** " . وفي آذار (مارس) نزلت بالبلدة موجة قارسة من البرد مات على أثرها " **بن استانبوري** " ، ولكنه عجوز في الثانية والتسعين .

وقالت " **بريدجيت** " :

– لقد ماتت " **إيمي جيبس** " في نيسان (إبريل).

وتطلع " **لوك** " إلى " **بريدجيت** " فوجدها تتأمله في اهتمام وهي تردد هذه العبارة ، فأرخت بصرها حين رأته ينظر إليها وخامره شعور بالضيق وقال في نفسه :

– "يخيل إليّ أن موت هذه الفتاة ينطوي على سر معين ، فليتني أهتدي إليه" .

وحين انصرفا من حضرة القس سألها " **لوك** " :

– والآن حدثيني عن هذه الفتاة "**إيمي جيبس**" .. ؟

ومضت لحظات طويلة قبل أن ترد " **بريدجيت** " على سؤاله ، وكانت نبرات صوتها متوترة مضغوطة .

قالت :

– كانت من أكفأ الوصيفات ، أما عيبها فهو أنها كانت على صلة بأحد الشبان، فلا تعود إلى القصر مساء إلا بعد الموعد المقرر ، و " **جوردون** " رجل محافظ يمقت عبث الشباب ، فما كان منه إلا أن طردها .

– أكانت جميلة .. ؟

– بل كانت غاية في الجمال .

– كان غباء منها أن تشرب طلاء القبعات بدلاً من دواء السعال .

– مجرد غلطة ، فإنها لم تكن غبية .

وخلال هذا الحديث كان " **لوك** " يحس من نبرات صوتها أن في الأمر شيئًا خفيًا.

وتوقفت " **بريدجيت** " في هذه اللحظة، لتبادل التحية رجلاً مارًا في الطريق، وقدمته إلى " **لوك** " على أنه السيد " **أبوت** " الذي استخدم " **تومي بيرس** " بعد طرده من عمله في القصر .

وقال المحامي متسائلاً :

– إذن فأنت مشغول بتأليف كتاب .. ؟ قصة .. ؟

وتولت " **بريدجيت** " الرد بقولها :

– بل كتاب عن التقاليد الشعبية والخرافات والسحر .

فقال " **أبوت** " المحامي :

– لقد عرفت إذن كيف تختار المكان الملائم .

– هذا ما قيل لي ، ولعلك تستطيع يا سيد " **أبوت** " أن تمدني بشيء من المعلومات في هذا الشأن .. أعني عن العادات والتقاليد والطقوس الغريبة وما أشبه.

واستطرد " **لوك** " :

– هل يؤمن الأهالي هنا بالأشباح .. ؟

وأجاب المحامي :

– الحق أني لا أدري، وعاد " **لوك** " يسأله عما إذا كانت في القرية بيوت تسكنها الأشباح ، ثم سأله عما إذا كان شبح " **تومي بيرس** " يظهر للناس ، وعما إذا كان يعتقد أن الأرواح الشريرة وحدها هي التي تظهر في الدنيا .

وهكذا اخذ " **لوك** " يمطر المحامي " **أبوت** " بوابل من الأسئلة ، وكان جوابه الوحيد عن هذا لا يخرج من : لا أعرف هنا . . . لم أسمع بشيء من هذا .. لا أدري .

ورأى " **لوك** " أن يغير موضوع الحديث فقال :

– أعتقد أن الأطباء هم خير من يستقي منهم الإنسان المعلومات ؛ فإن المرضى وأهلهم يفضون أمامهم بالحديث دون حذر عما يدور في رؤوسهم .

فقال "**أبوت**" :

– فكرة سديدة ، فعليك بالدكتور " **توماس** " ، فهو رجل لطيف على نقيض المسكين " **هامبلباي** " .

فقال " **لوك** " :

– إنه كان رجعيًّا عتيق التفكير على ما بلغني .

– وليت الأمر اقتصر على هذا ، فإنه كان كذلك عنيداً وغبيًّا .

وتدخلت" **بريدجيت** " في الحديث بقولها :

– كان بينكما نزاع فيما أذكر بشأن مشروع المياه ؟ .

فأجاب المحامي " **أبوت** " في حدة وانفعال :

– إن " **هامبلباي** " رجل أحمق يقف حجر عثرة في سبيل التقدم والتطور .. لقد رفض المشروع في عناد ، وكان وقحا، وردد في حديثه عبارات جارحة مشينة .

وتحول " **أبوت** " إلى " **لوك** " قائلاً :

– أظن أنه آن لي أن أنصرف ، ويمكنك يا سيد " **فيتز ويليام** " أن تتصل بي تليفونيًّا إذا شئت . وشكره " **لوك** " وانصرف المحامي في خطوات سريعة . وتحولت إليه " **بريدجيت** " قائلة " :

– إذا كنت تبغي مزيداً من المعلومات عن " **إيمي جيبس** " فلنذهب إلى الآنسة "**وينفليت** " .. لقد التحقت "**إيمي** " بخدمتها بعد أن فصلت من القصر . وكانت لديها حين ماتت .

– إذن هيا بنا إليها .

واستقبلتهما الآنسة " **وينفليت** " بحرارة وترحاب .

وقدمته إليها " **بريدجيت** " بقولها :

– هذا هو السيد " **فيتز ويليام** " ، وهو يضع كتابا عن العادات والتقاليد الريفية في الجنازات وتشييع الموتى . وأيضًا عن المعتقدات الخرافية المختلفة .

فقالت العانس العجوز :

– إنه حقًّا لموضوع طريف .

– وقد خطر لي أنك قد تستطيعين أن تحدثيه عن " **إيمي جيبس** " والظروف التي

لابست موتها .

ورأى في عيني الآنسة " **وينفليت** " نظرة شاردة ، كأنما انتهت إلى قرار معين، فقد تحولت إليه قائلة :

– حسنًا .. لقد كانت المسألة كلها مأساة محزنة سببت لي صدمة مروعة .. كانت غلطة مفجعة .

فسألها " **لوك** " :

– ألا يجوز أنها أرادت أن تنتحر .. ؟

– لا .. ليست " **إيمي** " من الطراز الذي ينتحر .

– إذن من أي طراز كانت .. ؟

وأجابت الآنسة " **وينفليت** " :

– إنها على وجه العموم لم تكن بالخادمة القديرة . إن من عاداتها السيئة أنها كانت ميالة دائمًا إلى الخروج ، فتعمد إلى إنجاز واجباتها في عجلة وبغير دقة. وتريثت الآنسة" **وينفليت** " برهة لائذة بالصمت ، ثم قالت :

– وثمة شيء آخر .. كانت مغرورة بجمالها ، وزادها غرورًا أن السيد "**الزويرثي**" – صاحب متجر التحف – رسم لوجهها صورة أو صورتين . وحملها غرورها على أن تتشاحن مع خطيبها " **جيم هارفي** " ، وهو شاب لطيف .

وقال " **لوك** " مجاملاً :

– إنها في الحق معلومات طريفة .

وتابعت الآنسة " **وينفليت** " الحديث فقالت في أسى :

– إنني لا يمكن أن انسى تلك الليلة المشؤومة .كانت " **إيمي** " مصابة بسعال حاد، وقد ذهبت إلى الطبيب في ظهيرة ذلك اليوم .

فسألها " **لوك** " مقاطعًا في كلمات سريعة :

– الدكتور " **هامبلباي** " أم الدكتور " **توماس** " .. ؟

– الدكتور " **توماس** " ... وقد أعطاها زجاجة دواء لعلاج السعال .. وفي تلك الليلة أوت " **إيمي** " إلى فراشها في ساعة مبكرة . ولابد أن الساعة كانت قد بلغت الواحدة بعد منتصف الليل حين تعالت تأوهاتها وتوجعاتها مصحوبة بصرخات مكتومة ، فصحوت على الضجة ، وبادرت إلى غرفتها ، وطرقت الباب فلم أتلق جوابًا ، وحاولت أن أدخل فوجدت الباب موصداً . وكانت الطاهية معي ورأينا أن نستعين بأحد الناس وكان الشرطي " **ريد** " بالقرب من البيت ، فدار حول المنزل ، واستطاع أن يتسلق الجدار من الناحية الخلفية متعلقًا بماسورة المياه .. وتسنى له أخيراً أن يدخل غرفتها من نافذتها المفتوحة ، ثم فتح لنا الباب . لقد نقلت إلى المستشفى في الحال ، ولكنهم عجزوا عن إنقاذها ، فماتت بعد بضع ساعات .

فتساءل " **لوك** " :

وكان السبب في موتها طلاء القبعات ؟

– تماما ، إذ إن فيه مادة سامة .. "حمض الأوكساليك" .. وكان الطلاء موضوعًا في زجاجة لها نفس الحجم الذي عليه زجاجة دواء السعال .. وقد وجدنا زجاجة الدواء على رف الحوض ، أما زجاجة الطلاء فكانت موضوعة على المنضدة بجانب فراشها .

سألها " **لوك** " :

– ولكن ألم يجل ببالك أن من المحتمل أنها تعمدت أن تنتحر .. ؟

– رأيي هو أن وفاتها كانت حادثًا من حوادث القضاء والقدر . شربت طلاء القبعات خطأ . ثم أطبقت شفتيها وزمتهما ، ولاذت بالصمت .

وسمع " **لوك** " نبشًا على باب الغرفة الموصد مصحوبًا بمواء قطة ، فنهضت الآنسة " **وينفليت** " مسرعة لتفتح الباب ، وعادت بعد لحظات تضم إلى صدرها قطة فارسية جميلة الشكل ، وقالت :

– هذه " **ووني** " المسكينة .. كانت مملوكة للسيدة " **بنكرتون** " . فلما

دهمتها السيارة وقضت عليها ، رأيت أن أحتفظ بالقطة المسكينة؛ حتى لا تهيم على وجهها شاردة في الشوارع .. أليست قطة جميلة .. ؟

– وأطرى " **لوك** " جمال القطة ، وربت ظهرها في رفق ، فقالت له الآنسة " **وينفليت** " :

– احذر أن تمس أذنيها ، فقد كانت تتألم منهما في الأيام الأخيرة .

ونهضت " **بريدجيت** " واقفة وهي تقول :

– أظن أنه ينبغي أن ننصرف .

وصافحت الآنسة " **وينفليت** " السيد " **لوك** " وهي تقول :

– ربما التقينا مرة أخرى .

فاجابها " **لوك** " :

– هذا ما أرجوه . وخُيِّل إليه أنه رأى في عينيها نظرة حائرة مشوبة بشيء من خيبة الأمل . ثم نقلت بصرها إلى " **بريدجيت** " ، وفي عينيها نظرة استفسار ، وخطر لـ " **لوك** " أن بين المرأتين نوعًا من التفاهم لا يدري سره . وشيعتهما الآنسة " **وينفليت** " حتى الباب الخارجي .

ووقف " **لوك** " يتأمل المشهد المنبسط أمام بصره ، وقال :

– إنه في الحق مشهد رائع خلاب .

وأشرق وجه الآنسة " **وينفليت** " وقالت :

– إنه لكذلك فعلاً . وهو لا يزال على حالته التي شهدته عليها وأنا بعد طفلة صغيرة . لقد كنا نقطن في " الهول " فلما آل الميراث إلى أخي قرر أن ينتقل منه . إذ لم يكن من الثراء بحيث يستطيع أن ينفق على صيانته ، فعرضناه للبيع ، وتقدم أحد المقاولين لشرائه؛ ليهدمه ويقسمه إلى قطع صغيرة من الأراضي يعرضها للبيع، وكنت حزينة لهذا فقد كنت أتمنى أن يبقى بيت الأسرة دائماً، وفجأة تقدم اللورد " **هويتفيلد** " لشرائه ، وأنقذ البيت من الهدم ، وحوّل الجزء الأكبر منه إلى متحف

و مكتبة . أما المنزل فتركه على حاله لكي أقيم فيه . . الحق أن اللورد " **هويتفيلد** " رجل سخي كريم القلب . . وأنا الآن أعمل أمينة للمكتبة ، ولا أتقاضى مرتبًا مقابل الإقامة في البيت . وصافحها " **لوك** " مرة أخرى ، وانصرف مع صاحبته .

وفي طريق العودة مرا بحانوت التحف والعاديات . وتأمل " **لوك** " واجهة المتجر بنظرة خاطفة ثم قال :

– إني أرى في الواجهة طبقًا جميلاً يحسن بي أن أقدمه هدية لعمتي .

فقالت الفتاة :

– فلندخل إذن لنشاهده .

ودلفا إلى الحانوت ، وتناول " **لوك** " الطبق وأخذ يتفحصه . وخرج إليهما من الجزء الخلفي من المتجر رجل قصير القامة وحياهما مرحبًا كان "**الزويرثي** " صاحب المتجر شابًّا في مقتبل العمر . يرتدي بذلة فاقعة اللون ، وكانت بوجهه مسحة من الشحوب. وقدمت إليه " **بريدجيت** " صديقها فحياه "**الزويرثي**"، ثم أخذ يحدثه عن الطبق ، ويطنب في مزاياه وأوصافه قال :

– إنه طبق أثري أصيل . ألا تراه جميلاً يا سيدي. إنني في الواقع متيم حبًّا بهذه التحف .

فعقبت " **بريدجيت** " وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة :

– إن السيد " **الزويرثي** " فنان أصيل .

فلوح الشاب بيده معترضًا :

– أرجوك يا آنسة " **كونواي** " لا تضفي عليّ هذا الوصف. إنني لست إلا تاجرا. . مجرد تاجر .

فقال " **لوك** " :

– ولكنني سمعت أنك فنان حقًّا ، وأنك تمارس الرسم .

فرك " **الزويرثي** " كفيه ، وصاح قائلاً :

– من الذي ذكر لك هذا .. ؟ في هذه القرية لا يكتم سر أبدًا ... إنها بلدة الشائعات والفضائح . ورد عليه " **لوك** " دون مواربة قائلاً :

– لقد أخبرتني الآنسة " **وينفليت** " أنك رسمت بعض الصور لـ " **إيمي جيبس** " .

– أوه ! "**إيمي** " .. إني أذكر فعلاً أني رسمت لها بعض الصور .

وقالت " **بريدجيت** " :

– إنها تستحق أن ترسم ، فقد كانت فتاة جميلة .

فقال " **الزويرثي** " :

– أتظنين ذلك .. ؟ لقد كنت أراها دائمًا فتاة عادية لا تكاد تسترعي الأنظار .

ثم تحول إلى " **لوك** " يسأله :

– ترى هل راقك شيء هنا .. ؟ ؟ الطبق بالتأكيد ... إن ثمنه زهيد جدًا ..

بيد أن " **لوك** " بادر يقاطعه قبل أن يتم عبارته :

– شكرًا لك . إني لا أحب أن أحرمك من تحفك ما دمت متعلقًا بها .

وحاول " **الزويرثي** " أن يغري " **لوك** " بشراء الطبق ، وعرض عليه أن يخفض له شيئًا من ثمنه ، ولكن " **لوك** " أصر على عدم الشراء . وحين غادرا المتجر التفت "**لوك** " إلى " **بريدجيت** " قائلاً :

– إن " **الزويرثي** " هذا شخص بغيض إلى النفس . فردت عليه الفتاة وهي تلوي شفتيها قائلة :

– إنه فعلاً شخص بغيض ، كما أن له أيضًا عادات بغيضة .

وسألها " **لوك** " :

– ليست هذه القرية بالمكان الذي يصلح لتجارة التحف والعاديات ، فما الذي جاء به ؟

فأجابت :

– لا أدري ، وإن كنت أعتقد أنه يمارس السحر، وأنت تعلم أن هذه القرية كانت مقرًا للسحرة منذ أعوام بعيدة .

فعقب " **لوك** " بقوله :

– إنه إذن الشخص الذي أحتاج إليه .

فقالت الفتاة :

– إذن فأنت تعتقد أنه يعرف الكثير عن الموضوع الذي تدرسه .. ؟

– أعتقد ذلك ، ولذا يجب أن ألقاه مرة أخرى .

كانا إذ ذاك يسيران على شاطىء النهر ، وهما يتبادلان حديثا عاديًا عن جو القرية وشوارعها ومبانيها . والتقيا برجل قصير القامة ذي شارب كث ، تصحبه ثلاثة كلاب من فصيلة "البولدوج" ، وهو يصرخ فيها بصوت أجش النبرات ، يناديها بألا تبتعد عنه.

وحدق الرجل إلى " **لوك** " في فضول واضح .

وسألها " **لوك** " وقد ابتعد بضع خطوات :

– هذا بالتأكيد هو النقيب " **هورتون** " وكلابه "البولدوج" ؟

فأجابت :

– إنه هو بعينه . ثم أردف :

– إن له سمة الضباط وهيئتهم . ولم تعقب " **بريدجيت** " على قوله و إنما قالت:

– أتحب أن نجلس قليلاً .. ؟

واستويا على جذع شجرة ملقى على الأرض .

وقالت الفتاة :

– أصبت في نظرتك .. إن النقيب " **هورتون** " رجل عسكري ، ولا يمكن للمرء أن يتصور أنه منذ عام كانت زوجته تتحكم فيه وتتسلط عليه .

فعقب " **لوك** " بقوله :

– ياله من مسكين !

واستطردت " **بريدجيت** " :

– كانت تعامله في خشونة وقحة ، في حين كان المسكين يعاملها في رقة ووداعة .. ومن العجيب أنه لم يقتلها ، فلو أني كنت في مكانه لبادرت إلى خنقها منذ السنة الأولى للزواج .

فسألها " **لوك** " :

إذن فلم تكن محبوبة من أهل القرية .. ؟

– كان الناس جميعًا يمقتونها ، وكانت تتحدث إليّ في لهجة متعالية كأنها وصية عليّ . وما من شخص التقت به إلا كرهها لسوء طباعها .

فقال " **لوك** " :

– ثم وافتها المنية فأراحته منها .. ؟

– تمامًا .. فمنذ عام أصيبت بمرض مفاجئ ، وفي أثناء مرضها كابد زوجها والدكتور " **توماس** " الويل والجحيم ، ثم انقذهما الموت منها ..

وران عليهما الصمت فترة طويلة . كانت الفتاة خلالها غارقة في خواطرها، أما **لوك** " فكان يفكر في المهمة التي جاء من أجلها إلى هذه القرية .

وفجأة انتزعه من استغراقه صوت " **بريدجيت** " وهي تسأله :

– سيد " **فيتز ويليام** " .. هل لك أن تصارحني بالحقيقة ؟ ما الذي دعاك حقًّا إلى الحضور إلى هذه القرية .. ؟

- 6 -

فوجئ " **لوك** " بالسؤال الذي قذفت به " **بريدجيت** " على حين بغتة .

كان عندئذ قد أشعل عوداً من الثقاب ، وقد أدناه من سيجارته ، فما إن سمع كلماتها حتى تسمرت يده مكانها ، ثم ألقى بعود الكبريت في عصبية وقال:

– اللعنة ! إنك باغتني بسؤالك .

تلاعبت على شفتيها ابتسامة هازئة وقالت :

– أحقًّا فاجأتك .. ؟ كنت أتوقع منك أن تترقب هذا السؤال في أية لحظة .

فقال :

– يبدو أنني بخستك حقك .. إن من كانت على مثل ذكائك لا يمكن أن تنخدع بسهولة. إنك بالتأكيد لم تصدقي حرفًا مما قلته عن تأليف الكتاب .

فقالت :

– حين التقيت بك أدركت على الفور أنك لست من الطراز الذي يكتب ويؤلف.

– إذن ما الذي ظننته بي .. ؟

– كنت أحسبك من أصدقاء ابن عمي " **جيمي** " المفلسين ، وأنه ابتدع هذه القصة وأراد مني أن أزعم أنك ابن عم لي حتى يتسنى لك أن تقيم معنا وتتناول طعامًا مجانًا .

وأغرق " **لوك** " في الضحك وقال :

– إذن فهذا ظنك بي ؟

فسألته :

وأنت .. ؟ ما الذي ظننته بي .. ؟

فتردد هنيهة خاطفة ، ولكنها استحثته فأجاب :

– كنت أتوقع أن أرى فتاة لعوبًا مدللة ، عرفت كيف توقع اللورد "**هويتفيلد**" في شباكها ، فإذا بي إزاء فتاة راجحة العقل ذات ذكاء وفطنة .

وران عليهما الصمت برهة ، ثم عادت الفتاة تردد نفس السؤال :

– والآن .. ما الذي جاء بك إلى هذه البلدة .. ؟

– أظن أن من الحماقة أن أدلي إليك بأكاذيب أخرى ، فإنك لا تلبثين أن

تكتشفي زيفها .

– أظن أنه يحسن بك أن تكاشفني بالحقيقة .

– فليكن إذن .. لقد جئت أبحث عن قاتل خفي .

– اتعني هذه الميتات العديدة التي توالت في القرية .. ؟

– تمامًا .. ذاك ما عنيته .

وتريثت " **بريدجيت** " برهة مفكرة ، ثم قالت :

– الحق أن وفاة " **إيمي جيبس** " أثارت في نفسي شيئًا من الريبة ، وإن كان التحقيق قد انتهى إلى أنها ماتت قضاء وقدراً لتناولها طلاء القبعات بدلاً من شراب السعال .

فسألها " **لوك** " :

– وما الذي رابك من أمر موتها .. ؟

فأجابت :

– أولاً وقبل كل شيء طلاء القبعات فمنذ عشرين عامًا كان الناس يطلون القبعات القش كل صيف ، فتكتسب لونًا جديداً مغايراً لما كانت عليه في الموسم السابق ، موهمًا من يراه بأنه اشترى قبعة جديدة ، أما اليوم وقد أصبحت القبعات القش رخيصة الثمن ، فلا أحد يهتم بأن يطلي قبعته ليغير من لونها .

فقال " **لوك** " :

– إذن فأنت تريدين أن تقولي إن استعمال طلاء القبعات قد بطل ، فما الذي جاء بالزجاجة في متناول يدها .. ؟

– تمامًا .. وكان هذا هو ما أثار شكوكي لأول مرة .

ثم استطردت :

– وثمة شيء آخر .. إن شعر " **إيمي جيبس**" أحمر اللون ، وهذا الطلاء أحمر اللون أيضًا . فمن هي الفتاة الحمقاء المجردة من سلامة الذوق التي ترضى بأن تلبس

قبعة حمراء فوق شعر أحمر .. ؟

فأومأ "**لوك**" برأسه مؤمنًا وهو يقول :

– أصبت .. إنه حقًّا استنتاج معقول .

وسألته :

– هل أنت شرطي من رجال " **اسكتلانديارد** " ؟

– لا .. كنت شرطيا في " **مايانج** " ، وعدت من الشرق منذ أيام؛ لأنني تقاعدت واعتزلت العمل .

– إذن ما الذي أقحمك في هذا الموضوع .. ؟

– مجرد مصادفة عجيبة .. وإليك القصة .

وروى لها ما كان من أمر لقائه في القطار بالسيدة " **بنكرتون** " وحديثها عن توقعها موت الدكتور " **هامبلباي** " ، وكيف دهمتها السيارة قبل وصولها إلى "**اسكتلانديارد** " . وكيف صح توقعها ومات الطبيب .

وقال :

– وقد أثارت هذه الأحداث شكوكي ، وجعلتني أعتقد أن في هذه القرية قاتلاً خفيًّا يقترف جرائمه دون أن تتطرق إليه الشبهات .. وإذا صحت نظرية السيدة "**بنكرتون** " ، فهذا القاتل الخفي نفسه هو الذي قتل " **إيمي جيبس** " ..

فقالت الفتاة :

– إذن فقد تسلق القاتل الجدار كما فعل الكونستابل " **ريد** " عند اكتشاف جثتها ، وتسلل من النافذة ، ووضع زجاجة طلاء القبعات بجانب فراشها ، ونقل شراب السعال إلى الرف البعيد عنها . وحدث الضابط توقعه تمامًا ، فحين اشتد بها السعال تناولت جرعة أو جرعتين من السائل السام .

وسألها "**لوك**" :

– وهل ناقشت هذا الموضوع مع الآنسة " **وينفليت** " .. ؟

– نعم ، ولكن ليس بالصورة التي تباحثنا بها الآن ... كان حديثنا مجرد كلمات عابرة لا أهمية لها ، ولكن الآنسة " **وينفليت** " امرأة ذكية ، وأعتقد أنها انتهت إلى نفس النتيجة التي انتهينا إليها الآن .

وسألته " **بريدجيت** " :

– قلت إن السيدة" **بنكرتون** " اشارت في حديثها معك إلى أسماء أخرى ، فما هي؟

– لقد أشارت إلى الصبي " **تومي بيرس** " الذي تحدثنا عنه ، وأيضا إلى السيد "**كارتر** " .

فقالت " **بريدجيت** " مرددة وهي غارقة في خواطرها :

– " **كارتر** " .. " **تومي بيرس** " .. " **إيمي جيبس** " .. دكتور " **هامبلباي** " . إنه لأمر يثير الدهشة أن تتحقق توقعاتها .

وسألها " **لوك** " :

– ألم يخطر ببالك أي سبب يدعو إلى قتل " **إيمي جيبس** " .. ؟

– لا ... لم يخطر ببالي .. فما أعرف أحداً يكن لها العداوة .

– و " **كارتر** " .. ؟ كيف مات .. ؟

– سقط في النهر، فمات غريقا .. كان عائداً إلى داره ليلاً وهو سكران ، وكان لابد أن يعبر في طريقه قنطرة ضيقة ليس لها إلا حاجز واحد ، وانتهى الرأي إلى أنه لابد أن تكون قدمه قد زلت فوقع في النهر .

فقال " **لوك** " :

– كما أن من المحتمل أن يكون شخص ما قد دفعه فوقع .

– هذا جائز .. كما أنه من الجائز أيضًا أن يكون مجهول قد دفع " **تومي بيرس** " من فوق حافة النافذة .

– احتمال غير مستبعد . وهناك أيضًا من أبدل شراب السعال في حالة "**إيمي**

جيبس " . وهذا معناه أن هناك قاتلا خفيًّا لا يرتاب فيه أحد .

واستطرد " **لوك** " يسأل الفتاة في كلمات متمهلة :

ترى هل في قرية " **آش** " شخص له تأثير سحري شرير .. ؟ وأنت تدركين بالتأكيد ما أعني .. هناك عيون لها نظرات شيطانية تجلب الشرور والنحس، أو نظرات توحي بأن صاحبها مجنون مخبول .

فأجابت :

– كل من قابلت في " **آش** " يبدو عاقلاً متزنًا . ثم تساءلت :

– إذن فأنت تعتقد أن القاتل لابد أن يكون مختل العقل .. ؟

– هذا ما خطر لي .. إنه مخبول ولكنه يبدو عاقلاً كأي إنسان .. كالجزار ، أو الخباز، أو البقال ، أو أي عامل من عمال المزارع .

فقالت الآنسة " **بريدجيت** " معترضة على ما ذهب إليه :

– إني لا أشاطرك رأيك في هذا التعميم الذي يشمل أهل القرية جميعًا .. إن حديث السيدة " **بنكرتون** " عن هذا الشخص ونظراته التي تجلب الشؤم يدل على أنها تتحدث عن شخص تلقاه من وقت لآخر .. أي شخص في مثل مستواها الاجتماعي ، فهو إذن لا يمكن أن يكون الخباز، أو البقال، أو أحد العمال، أو نحو ذلك.

– إنك على حق ، وبذلك ضاقت دائرة البحث .

ثم أردف :

– إنني سعيد بأن صارحتك بمهمتي ، فإنك سوف تكونين لي عونًا كبيرًا .

فقالت باسمة :

– أعتقد أن في وسعي أن أعاونك على اكتشاف هذا القاتل الخفي .

وتطلعت إلى ساعتها ثم قالت :

– يحسن بنا أن نعود ، فقد طالت غيبتنا .

- 7 -

ما إن فرغ " **لوك** " من تناول الغداء حتى لاذ بغرفته محاولاً أن ينسق المعلومات التي جمعها حتى الآن . وتناول فرخاً من الورق ، وسطر عليه بضعة أسماء ، كما دون أمام كل اسم بعض الملحوظات :

أولاً – الضحايا وهم :

" **إيمي جيبس** " : ماتت مسمومة .

" **تومي بيرس** " : دفع من فوق حافة النافذة .

" **هاري كارتر** " : دفع إلى النهر (هل كان مخموراً، أم مخدراً .. ؟)

الدكتور " **هامبلباي** " : تسمم في الدم .

– السيدة " **بنكرتون** " : دهمتها سيارة وفر سائقها هارباً .

ثم أضاف إلى القائمة : السيدة " **روز بن** " العجوز ، وبعد برهة قصيرة أضاف أيضًا : السيدة "**هورتون**" . وأمضى برهة يردد النظر في هذه القائمة ، ثم تناول القلم مرة أخرى ، وبدأ يكتب :

– الدكتور " **توماس** " : من المحتمل أن يكون محل شبهة .

دافع مؤكد في حالة الدكتور " **هامبلباي** " .. طريقة قتله مناسبة .. طبيب يستخدم علمه في القتل .. تسمم باستخدام الجراثيم .. " **إيمي جيبس** " زارته ظهيرة اليوم الذي ماتت فيه (ترى هل ثمة علاقة بينهما .. ؟ ابتزاز مثلاً .. ؟)

" **تومي بيرس** " : ليست له علاقة معروفة بالدكتور " **توماس** " . هل عرف "**تومي**" شيئًا عن علاقة " **توماس** " بـ " **إيمي جيبس** " ؟ .. وهل له علاقة بـ" **هاري كارتر** " ؟ العلاقة غير معروفة حتى الآن .

هل كان الدكتور " **توماس** " غائبًا عن القرية يوم مصرع السيدة " **بنكرتون** " في "**لندن**" .. ؟

وخرجت من صدر" **لوك** " تنهيدة عميقة ، فقد كان في حيرة من الأمر، وحتى

هذه اللحظة لا يقف على أرض صلبة . وعاد يسطر عنوانًا جديداً :

ثانيًا : المشتبه فيهم ، وهم :

السيد " **أبوت** " المحامي : يمكن أن يكون محل اشتباه ... شخصيته معقدة..شخص مراوغ لا يعرف الصراحة ... يبدو ماكرًا خبيثًا .

الدافع إلى قتله الدكتور " **هامبلباي** " : بينهما نزاع حاد بشأن مشروع المياه.

تحدى " **أبوت** " في قحة ولسان سليط .. دافع قوي عند صاحب عقل غير متزن.. من المحتمل أن السيدة " **بنكرتون** " فطنت إلى ما بينهما من عداوة .

" **تومي بيرس** " .. لعله وهو يعمل عند المحامي " **أبوت** "قد اطلع على أوراق لها طابع سري ... ترى هل اطلع على شيء يرى المحامي أنه كان ينبغي أن يبقى سرًّا ؟.

" **هاري كارتر** " : ليست هناك علاقة معروفة .

" **إيمي جيبس** " : ليست هناك علاقة معروفة .. القتل بواسطة طلاء القبعات وسيلة تتفق وعقلية " **أبوت** "؛ لأنه صاحب عقلية رجعية .. هل كان "**أبوت** " بعيداً عن القرية يوم مصرع السيدة " **بنكرتون** " في "**لندن**" .. ؟

النقيب " **هورتون** " : يمكن أن يكون محل اشتباه ... ليست له علاقة معروفة بـ" **إيمي جيبس** " أو " **تومي بيرس** " أو " **كارتر** " .

وماذا بشأن وفاة زوجته السيدة " **هورتون** " .. ؟ إن حالتها عند الوفاة كانت توحي بأن من المحتمل أنها ماتت متسممة بـ"الزرنيخ" .. وفي هذه الحالة تكون حوادث القتل الأخرى ناشئة بسبب محاولة أصحابها ابتزاز المال من "**هورتون**"... وثمة ملحوظة مهمة هي أن الدكتور " **توماس** " هو الذي كان يتولى علاجها كما تولى علاج "**إيمي جيبس** " .

السيد " **الزويرثي** " بائع التحف : رجل بغيض .. يمارس الأعمال السحرية..لعله مصاب بنزعة جنونية تجعله متعطشًا إلى سفك الدماء شأن بعض

السحرة الذين يمارسون السحر .. ترى، هل له علاقة بـ " **إيمي جيبس**"؟..هل له علاقة بـ" **تومي بيرس** " .. ؟ أو " بـ" **كارتر** " .. ؟ لا شيء عن هذا معروف حتى الآن ؟ هل له علاقة بالدكتور " **هامبلباي** " ... ؟ لعل الطبيب بحكم خبرته اكتشف أن "**الزويرثي** " مجنون مختل العقل .

وماذا بشأن السيدة " **بنكرتون** " .. ؟ وهل كان " **الزويرثي** " خارج القرية يوم مقتلها .. ؟

السيد " **ويك** " قس الأبرشية : يمكن أيضًا أن يكون مشتبهًا فيه . احتمال بعيد، ولكنه جائز .. لعله متعصب إلى درجة الجنون ... لعله يعتقد أن رسالته الدينية في الأرض هي أن يقتل غير الصالحين شأن المهووسين المتعصبين من رجال الدين ... يلاحظ أن " **كارتر** " و " **تومي** " و " **إيمي** " أشخاص غير محبوبين وسلوكهم شرير ، ويحسن الخلاص منهم .

السيد " **جونز** " مدير البنك : ليست لدي معلومات عنه . خطيب " **إيمي جيبس**" لعل لديه دافعًا لقتلها ، ولكن هذا غير محتمل ، خاصة والمعروف أنه متيم في هواها .

وأخذ " **لوك** " يتلو هذه القائمة مرة بعد مرة ، ويتمعن فيها مفكرًا وأخيرًا همس في صوت خافت :

– إن القضية ما زالت غامضة، يكتنفها الظلام .

ثم قذف بالقائمة إلى المدفأة ، ووقف يرقبها حتى أتت النيران على الورقة والتهمتها تمامًا .

- 8 -

تراجع الدكتور " **توماس** " في مقعده ، وتخلل بأصابعه النحيلة شعره الأسود، ثم بدأ يتكلم .

وقال " **لوك** " في نفسه : "على الرغم من أنه لا يتعدى الثلاثين إلا بسنوات قليلة فإنه قدير في مهنته على ما يبدو" . فقد كان تشخيصه للأوجاع الروماتيزمية التي يشعر بها " **لوك** " مطابقًا لما قرره كبار الإخصائيين في "**لندن**" .

وقال له " **لوك** " : "لقد أرحت بالي . هل الجلسات الكهربائية ستزيل حتمًا هذه الأوجاع ؟ فلست أريد أن أصبح مقعداً في أخريات أيامي .

ولاحت على شفتي الدكتور ابتسامة صبيانية وقال :

– لا خوف من ذلك أبدا يا سيد " **فيتز ويليام** " .

فقال " **لوك** " :

– كنت أخشى أن تتطور أوجاعي إلى ما هو أسوأ .. الحق أن الطبيب القدير يبدو عند مريضه أشبه بالساحر الذي يأتي بالمعجزات الخارقة .

وسأله الدكتور " **توماس** " :

– وبهذه المناسبة أظن أنك تعمل الآن في وضع كتاب عن السحر ، أليس كذلك... ؟

فتطلع إليه " **لوك** " في دهشة واضحة وهو يقول :

– عجبًا ... أنى لك أن تعرف هذا .. ؟

فعادت إلى شفتي الدكتور " **توماس** " ابتسامته الصبيانية وقال :

– إن الأخبار تنقل بسرعة في مثل هذا المكان .

– وبالتأكيد لا تخلو من المبالغة، إذ لابد أن تضاف إليها بعض الحواشي . وأغلب الظن أنه قيل لك إنني أجريت بعض الطقوس الدينية واستحضرت الأرواح .

– من الغريب أن تقول هذا ، فقد ذكر لي بعضهم أنك استحضرت فعلاً روح "**تومي بيرس** " .

– " **بيرس** " .. ؟ " **بيرس** " ... ؟ أليس هو ذلك الصبي الذي سقط من فوق حافة النافذة .. ؟

– هو بعينه .. والسيد " **أبوت** " المحامي هو الذي أنبأني بذلك .

وأغرق " **لوك** " في الضحك وقال :

– كل ما هنالك أنني أشرت إلى اسم هذا الصبي في معرض حديثي مع السيد "**أبوت** " .

فقال الدكتور متسائلاً :

– أتراك تؤمن بظهور الأشباح يا سيد " **فيتز ويليام** " ... ؟

– إن لهجتك يا دكتور تدل على أنك أنت نفسك لا تؤمن بالأشباح ، ولكن الواقع أنه مرت بي ظواهر عجيبة عن ميتات فجائية أو ميتات شاذة متسمة بالعنف. ولكن اهتمامي منصب على الخرافات المختلفة بالميتات العنيفة ، والتي تقول إن روح القتيل لا تهدأ ولا تستقر إلا بعد الانتقام من القاتل .

وعقَّب الطبيب :

– إنها في الحق معتقدات عجيبة . ولكني أعتقد أن الناس في أيامنا هذه لا يؤمنون بها .

– بل هناك كثيرون مازالوا يؤمنون بمثل هذه الترهات ... وبهذه المناسبة أظن أن في قريتكم هذه حوادث قتل نادرة .

– هذا صحيح .. فمنذ سنوات بعيدة كانت تقع في " **آش** " حوادث قتل أكثر مما ينبغي ، أما الآن فلا .

فعقب " **لوك** " على هذا بقوله وهو يتأمل وجه الطبيب :

– إلا إذا كان هناك من دفع " **تومي بيرس** " من فوق حافة النافذة .

فارتسمت على شفتي الدكتور " **توماس** " ابتسامة أشبه بابتسامة الأطفال وقال :

– كثيرون في هذه البلدة كانوا يتمنون أن يهشموا رأس هذا الصبي المزعج، ولكني لا أعتقد أن أحداً منهم فكر في أن يقذف به من النافذة .

– يبدو أنه كان بغيضاً يكرهه الناس جميعًا ، حتى ليرون قتله واجبا اجتماعيا

عامًّا يفخر المرء بأدائه . إنني أعتقد أن بعض عمليات القتل بالجملة ستفيد المجتمع حتمًا .. مثلاً: المخمورون الذين لا يفيقون من السكر، أو العوانس ذوات الألسنة السليطة التي لا ترحم أحداً ، أو أصحاب العقليات الرجعية الذين يقفون في وجه التطور فلو أن أمثال هؤلاء أزيحوا ، لكسب المجتمع من وراء مقتلهم كسبًا عظيمًا .

واتسعت ابتسامة الدكتور " **توماس** " حتى شملت وجهه كله وقال :

– إذن فأنت تؤكد الجريمة على نطاق واسع . ؟ للتخلص ممن يسيئون إلى المجتمع.. هذا رأي سليم ..

فتأمله " **لوك** " برهة ثم قال :

– يبدو أنك لست جادًّا في قولك هذا ، أما أنا فلا أمزح .. إن رأيي يتلخص في عبارة واحدة : كل من يقف عقبة في وجه التقدم تجب إزاحته دون تردد.

– ومن يكون الحكم .. ؟ من الذي يقضي بصلاحية هذا للبقاء وعدم صلاحية ذاك لأن يعيش .. ؟

فقال " **لوك** " مقرًّا :

– تلك هي المشكلة .

واستطرد الدكتور " **توماس** " متمهلاً في الإدلاء برأيه :

– المتدين يؤمن بأن الشيوعي ملحد غير جدير بأن يعيش . والشيوعي يحكم بالإعدام على جميع المتدينين باعتبارهم قومًا يروجون للخزعبلات والأفكار العتيقة البالية ... والطبيب مثلاً يرى أن في قتل ذوي الأمراض المزمنة إنقاذاً للمجتمع البشري .

فقال " **لوك** " :

– يجب أن يكون الحكم رجلاً حصيفًا يقضي في الأمر بمعيار علمي سليم.. .فليكن الحكم طبيبًا مثلاً ، فهو بحكم مهنته قدير على إصدار حكم منزه... أنت مثلاً يا دكتور تصلح حكمًا قديرًا .

فعقب " **توماس**" :

– إن مهمتي في هذه الدنيا هي أن أجعل غير الصالح صالحًا ، لا أن أقتله وأقضي عليه .

وقال " **لوك** " :

– ومع ذلك فتمشيًا مع روح المناقشة فلنأخذ " **كارتر** " مثالاً .

– " **كارتر** " صاحب حانة "النجوم السبعة" .. ؟

– نعم ... هذا هو الرجل الذي أعنيه ... إنني لم ألتقِ به في حياتي ، ولكن ابنة عمي الآنسة " **كونواي** " حدثتني عنه ، وذكرت لي أنه رجل مشاكس، وأفّاق وضيع.

وأضاف الطبيب :

– وهو إلى هذا سكير مدمن ، ويسيء معاملة زوجته ، وينهال بالضرب على ابنته، كما أنه مشاغب سليط اللسان .

– إذن الدنيا الآن في غيبته خير مما كانت وأفضل .

– يمكنني أن أجاريك في هذا الرأي .

واستطرد" **لوك**" :

– إذن فلو أن شخصًا ما كان قد دفعه وألقى به في أعماق النهر لاستحق هذا الشخص وسامًا؛ لأنه أتى عملاً مجيداً في صالح المجتمع .

وتأمل الدكتور " **توماس** " محدثه وقال متسائلاً :

– وهذه النظريات التي أراك تبشر بها ..هل يا ترى تقوم بتطبيقها عمليًّا..؟

فضحك " **لوك** " ضحكة طويلة وقال :

– إنها عندي مجرد مبادئ نظرية .

فعقب الدكتور " **توماس** " بقوله :

– وهذا ماظننت .. فإنك تكلمت في صراحة أكثر مما ينبغي ، والقاتل الحقيقي

لا يمكن أن يكون صريحًا . وإنما يأخذ غالبًا بأسباب الحذر والتكتم.

فقال " **لوك** " :

– ولكن ما يدريك أنني متعصب مخبول ، وأحب أن أزهو بما أفعل .

– وحتى في هذه الحالة لابد أن يكون لديك شعور بمسؤوليتك ورغبة في حماية نفسك ، فإذا أراد المرء أن يبحث عن القاتل فلينشده في رجل منكمش هادئ الطباع يبدو في نظر الناس وديعًا بريئًا .

وقال " **لوك** " :

– قل لي يا دكتور " **توماس** " ... ألم تلتق في خلال ممارستك مهنتك بشخص اعتقدت أنه قاتل .. ؟ إن الأطباء هم أقدر الناس على اكتشاف أعراض الجنون التي تخفى على غيرهم .

فقال الطبيب :

– دعني أصحح لك خطأ يتردى فيه الكثيرون .. إنهم يعتقدون أن المجنون رجل يجري في الشوارع ، وفي يده سكين .. لا يا صديقي ... إن المخبول غالبًا شخص وديع هادئ ، ومن أشق الأمور أن تعرفه من بين الناس .

– حقًّا .. ؟ الواقع أنني لم أكن أعرف هذا .

– وثمة شيء آخر ... المجنون غالبًا لايقتل إلا دفاعًا عن النفس ... أعني حسب اعتقاده، فقد يتخيل .. أن – صدقًا أو كذبًا – شخصًا ينوي به شرًّا فيقدم على قتله.

ونهض " **لوك** " واقفًا وهو يقول :

– أخشى أن أكون قد أخذت من وقتك أكثر مما ينبغي .

– الواقع أن عملي اليوم قليل ، فهذه البلدة ذات جو صحي رائع فلا يمرض الناس فيها كثيرًا .

فقال " **لوك** " :

– وبهذه المناسبة . . . لقد امتدحتك ابنة عمي وقالت عنك "**إنك طبيب قدير**" ، وقد علمت ذلك الآن بنفسي؛ فتشخيصك لمرضي مطابق لما قرره كبار الإخصائيين في "**لندن**" . فلماذا بالله عليك تدفن نفسك في هذه القرية .. ؟ إن مجالك الحقيقي هناك في "**لندن**" .

– إن الطبيب الممارس العام يكتسب خبرة كبيرة ، ولذلك آثرت أن أعمل في إحدى القرى طبيبًا ممارسًا بدلاً من التخصص .

– ولكن أتنوي أن تبقى مدفونًا هنا طوال حياتك .. ؟ إن زميلك الدكتور "**هامبلباي** " لم يكن بالرجل الطموح ، وما كان ليضيره قط أن يقضي عمره كله هنا .

– إنك على حق في هذا .

واستطرد " **لوك** " :

– لقد بلغني أيضًا أنه كان رجعيًا في أساليب العلاج التي يأخذ بها .

– في بعض الأحيان كان يبدو عنيدا ، وهو دائمًا متشكك في طرق العلاج الحديثة ولا يؤمن بها .

وقال " **لوك** " في لهجة عادية كأنما جاء الأمر عفوًا :

– ولقد سمعت أن له ابنة غاية في الجمال .

ولاحظ عند هذه الكلمات أن وجه الدكتور " **توماس** " تضرج احمرارًا وأخذ يردد في ارتباك :

آه ! آه ! أظن ذلك .

واسترد الدكتور " **توماس** " ثباته فجأة :

– بمناسبة حديثنا عن الجرائم يمكنني أن أعيرك كتابًا قيمًا عن " **الجريمة ومركب عقدة النقص** " وهو مترجم عن الألمانية لكاتب معروف يدعى "**كراوهامر**" .

– شكرًا لك . . . إنه ليسرني أن أقرأه .

وتناول الدكتور " **توماس** " كتابًا من فوق أحد الرفوف وقال :

– قد يكون ما يتضمنه الكتاب مجرد نظريات ، ولكن البحث طريف جداً .. وأمتع ما فيه الفصل الخاص بالقاتل " **مينز هيلد** " الملقب بـ"السفاح" ، والفصل الخاص بالممرضة " **آني هيلم** " .

فقال " **لوك** " :

إني أذكر أنه قيل عنها إنها قتلت أكثر من عشرة أشخاص قبل أن تتطرق إليها الشبهات .

– تمامًا ... وتحليل المؤلف للشخصيات رائع .

وقال " **لوك** " :

– يا إلهي !! كيف استطاع هؤلاء القتلة أن يصرفوا الأذهان عن الاشتباه فيهم .

فقال الطبيب :

من كان ذكيًّا يمكن أن يقترف جرائمه دون أن يشتبه فيه إنسان .

نطق الدكتور " **توماس** " بهذه الكلمات وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة مثيرة .

وانصرف " **لوك** " وهو يفكر في سر هذه الابتسامة ومعناها .

- 9 -

مضى " **لوك فيتز ويليام** " إلى الحانوت القائم في الشارع الرئيسي؛ ليبتاع علبة سجائر وإحدى الصحف . ونشر الصحيفة وهو لا يزال في الدكان ، وألقى نظرة على نتائج المراهنات لكرة القدم ، ثم قال في صوت مرتفع بحيث تسمعه صاحبة الحانوت "إنه خسر مائة جنيه في المراهنات" ، فكان لابد أن تشاطره السيدة "**بيرس**" الأسى ، وأن يتشعب الحديث بعد ذلك إلى أمور أخرى.

وقالت المرأة :

– إن زوجي السيد " **بيرس** " مولع أشد الولع بمباريات كرة القدم ، ولكن كثيراً ما خاب أمله ، فإن الحظ كثيرا ما يسيطر على المباريات .

وشاطرها " **لوك** " هذا الرأي في حماس ، وقال :

– لو أن الحظ عاندنا في مباريات كرة القدم وحدها لهان الأمر واحتملناه ، ولكن للحظ أحيانًا ضربات قاسية .

نكأت هذه الكلمات جرحًا كامنًا في صدر السيدة " **بيرس** " فانفجرت تقول :

– إني أعرف هذا يا سيدي حق المعرفة ، وقد كابدت الكثير من سوء الحظ. .إنني امرأة منكوبة .. ويمكنك أن تدرك هذا بسهولة إذا عرفت أنني رزقت ثمانية أولاد، وإن كان اثنان منهم قد ماتا .

فقال " **لوك** " في لهجة مواسية :

– حقًّا .. ؟ هذا شيء يؤسف له .

واستطردت المرأة :

لقد مات ثانيهما منذ شهر تقريبًا .

– أكان مريضًا .. ؟ وما كان مرضه ؟

– لا يا سيدي وإنما مات في حادث ، كان ينظف النافذة في المكتبة ، فزلت قدمه، وسقط من ارتفاع شاهق إلى أرض الحديقة .

وردد " **لوك** " بعض كلمات المواساة ، وتدخل زوجها في الحديث وأخذ يروي تفاصيل المأساة .

وقال " **لوك** " :

– لقد ردد بعضهم أمامي أنه شوهد يرقص على حافة النافذة ويقوم ببعض الألعاب البهلوانية .

فقالت السيدة " **بيرس** " :

– لا أنكر يا سيدي أن " **تومي** " كان طائشًا فلعله فعل ذلك ، كما كان يسره أن

يداعب الناس، وقد عاكس النقيب " **هورتون** " مرة مما أثار غضبه الشديد .

فقال "**لوك**" :

– النقيب "**هورتون**" صاحب الكلاب ؟

– هو بعينه يا سيدي ... وهو الذي ذكر بعد الحادث أنه رأى " **تومي** " يرقص فوق حافة النافذة ، فإذا كان هذا صحيحًا فأية مفاجأة تحدث عندئذ يمكن أن تروعه فيختل توازنه ويسقط بسهولة . ولكن ابني لم يكن شريرًا كما يقولون .

– إني واثق بهذا يا سيدة " **بيرس** " ... ومما يؤسف له أن بعض الناس ينسون إذا ما تقدم بهم العمر أنهم كانوا وهم صغار يفعلون مثلما يفعل الشباب .

فتنهدت السيدة " **بيرس** " وقالت :

– صدقت يا سيدي صدقت . إن بعض الناس كانوا يثورون غضبا إذا حاول مداعبتهم .

واستطردت المرأة :

– كان " **تومي** " يجيد تقليد الشخصيات المختلفة بطريقة تضحك الناس . فقد قلد السيد " **الزويرثي** " صاحب حانوت التحف ، كما قلد السيد " **هويز** " حارس الكنيسة ، وقد حدث يومًا أن قلد اللورد " **هويتفيلد** " أمام البستانيين فأغرقوا في الضحك ، وتصادف في هذه اللحظة أن جاء اللورد فجأة ، وشاهد ما يحدث فغضب ، ولكنه كان متسامحًا كريم القلب ، فبحث لـ "**تومي**" عن عمل آخر قبل أن يفصله .

– ومخدومه الجديد .. ألم يغضب على " **تومي** " ؟

– لقد ألحقه اللورد بخدمة السيد " **أبوت** " المحامي ، وحدث أن شاهده يعبث في أوراقه الموضوعة فوق المكتب ويقرؤها فهاج هياجًا شديدًا .

فتساءل " **لوك** " :

وما الذي ضبط يقرؤه .. ؟ وصية مثلاً .. ؟

– لا يا سيدي ، وإنما مجرد خطاب شخصي من إحدى السيدات ... ولكن " **تومي** " لم يكن قد قرأ إلاجزءاً من الخطاب .. بل إنه لم يعرف حتى من تكون السيدة كاتبة الخطاب .

وتابعت السيدة " **بيرس** " الحديث بقولها :

– إن السيد"**أبوت** " رجل حاد الطبع ، وقد سمعت أنه كان على خلاف شديد مع السيد " **هامبلباي** " بشأن مشروع المياه ، وذلك قبل وفاة الدكتور . وإنه لأمر مؤسف أن يقترن اسم " **أبوت** " بهذه الميتات .

فقال " **لوك** " :

– لعلك تعنين أنه ما إن يختلف مع شخص إلا مات .. اختلف السيد "**أبوت**" مع الدكتور " **هامبلباي** " فمات .. اختلف مع " **تومي** " فمات .. إنها في الحق مصادفة عجيبة ، ولكنها على أية حال مجرد مصادفة .

وقالت المرأة :

– وهناك أيضاً " **هاري كارتر** " صاحب حانة "النجوم السبعة" ... لقد تبادلا كلمات عنيفة قاسية ، وبعد أسبوع واحد سقط " **كارتر** " في النهر وغرق ، ومع ذلك فلا لوم على السيد " **أبوت** " في هذه المشاحنة ، فإن اللوم كله يقع على "**كارتر** " .. ففي أحد الأيام ذهب إلى بيت السيد " **أبوت** " ، ووقف أمام الدار يسب ويلعن بأعلى صوته وبأقذر الألفاظ؛ إذ كان مخموراً .

واستطردت السيدة " **بيرس** " :

– كان " **كارتر** " وحشا .ولا شك في أن موته كان إنقاذا لزوجته المسكينة .

فقال " **لوك** " :

– لقد خلف وراءه ابنة أيضًا على ما سمعت .

– نعم ، وقد تردد أنه كانت بينها وبين السيد " **أبوت** " علاقة غرامية ، وتدعمت هذه الشائعات بعد أن ذهب " **كارتر** " إلى المحامي يسب ويلعن .

وحين هم " **لوك** " بالانصراف قالت له :

– إنني أعرف يا سيدي أنك مقيم في قصر اللورد " **هويتفيلد** "، وأنك تؤلف كتابًا عن السحر والسحرة .

ثم أردفت وقد أشرق وجهها :

– وأعرف أيضًا أنك ابن عم الآنسة " **كونواي** " ، وإنه ليسعدنا جميعًا أن نراها زوجة للورد " **هويتفيلد** " .

فشكرها " **لوك** " على حسن شعورها ، وانصرف وهو يفكر فيما سمع .

قال في نفسه : "ها هي ذي الآن شبهات قوية تقوم ضد المحامي " **أبوت** " .. تشاحن مع " **هامبلباي** " ، ومات " **هامبلباي** " .. تشاحن مع " **كارتر** " ، وإذ بـ" **كارتر** " يموت ... وأخيراً ننتهي إلى " **تومي بيرس** " . لقد ضبطه " **أبوت** " متلبساً بالاطلاع على خطاب شخصي جاءه من إحدى السيدات ، ولعل في الخطاب سرًّا لم يكن يريد لأحد أن يطلع عليه ، فاستقر رأيه على أن يسكته ويتخلص منه؛ حتى لا يفشي سره ، فدفعه من حافة النافذة ليسقط جثة هامدة... والآن من تكون السيدة صاحبة الخطاب الشخصي ... ؟ أيكون من " **إيمي جيبس**" يا ترى ؟ ترى، هل كانت بينهما علاقة غرامية ، فأخذت تهدده وتتوعده... ؟ أو لعلها أرادت أن تبتز منه مالاً .. ؟ كما أنه من الجائز أن " **إيمي** " عرفت أن بينه وبين ابنة " **كارتر** " علاقة حب ، فسألته مالاً مقابل سكوتها ... وسواء كان هذا أو ذاك ، فإن الذي حدث فعلاً هو أن " **إيمي جيبس** " ماتت هي الأخرى متسممة بطلاء القبعات" .

كان " **لوك** " يتمشى على شاطئ النهر راجعًا إلى القصر ، وقد استغرقته هذه الخواطر . وفجأة لمح شخصين يسيران معًا في اتجاه الغابة .

وكانت مفاجأة مذهلة أن عرف في هذين الشخصين ، " **بريدجيت كونواي** " ابنة عمه المزعومة ، و " **الزويرثي** " صاحب محل التحف والعاديات .

كانا يتحدثان في اهتمام واستغراق .

وقال " **لوك** " في نفسه وقد أخذه العجب : "ترى فيم يتحدثان .. ؟ الحق أني في دهشة من أمر هذه الفتاة .. ! ما الذي يمكن أن يربط بينها وبين " **الزويرثي**" وهو الرجل البغيض الممقوت .. "؟

وجعل " **لوك** " يتأمل " **بريدجيت** " والريح تعبث بشعرها الأسود الجميل ، وخصلاته تتمايل وتتأرجح خلفها متطايرة في الهواء ، حتى لتبدو وكأنها لا تسير وإنما تتراءى أشبه بملاك يهيم في الجو .

وقال في نفسه : "يالها من فتاة .. لقد فتنتني" .

- 10 -

جعله الصوت الرقيق الذي جاء من خلفه يستدير فجأة . كانت فتاة جميلة في نضرة الشباب ، ذات عينين زرقاوين قلقتين ، وشعر أشقر في لون الذهب ، ووجنتين متضرجتين كأنهما جذوة نار .

وقالت له الفتاة :

– إنك السيد " **فيتز ويليام** " دون شك ، أما انا فـ " **روز هامبلباي** " .. لقد أخبرتني " **بريدجيت** " أنك تعرف اناسًا كانوا يعرفون أبي .

فأجابها :

– كان ذلك منذ زمن طويل .. قبل أن يتزوج أبوك .

– إنك تضع فيما سمعت كتابًا عن الخرافات المحلية وهذا في الواقع موضوع طريف .

فقال " **لوك** " باسمًا :

– وما يدريك ؟ إنه قد يخرج للناس كتابًا سخيفا مملاً.

فقالت :

– لا أظن ذلك .

ثم أردفت متسائلة :

– ترى هل تؤمن بالأشباح والخرافات وما إلى ذلك .. ؟

فأجاب :

– قد يهتم المرء أحيانًا بأشياء لا يؤمن بها . وأنت .. ؟ هل تؤمنين بالخرافات .؟

– لا .. إني لا اومن بها .. ولكن أحيانا تأتي موجات متتابعة من الحظ الطيب أو الحظ السيئ .

ثم استطردت :

– ويخيل إليّ الآن أن " **آش** " في الوقت الحاضر هدف للعنة حاقت بها .. لقد مات أبي .. وماتت السيدة " **بنكرتون** " تحت عجلات إحدى السيارات .. وسقط "**تومي بيرس** " من حافة النافذة ... ووقع " **كارتر** " في النهر وغرق ... لقد بدأت أبغض هذه البلدة .

فقال " **لوك** " :

– إني أقدر مشاعرك .

– لقد مات فجأة ، فكانت الصدمة شديدة الوقع على نفسي ... كما كان موت السيدة " **بنكرتون** " أمرًا محزنًا .

وقال " **لوك** " :

– الحق أنها كانت سيدة لطيفة .

فأشرق وجه " **روز هامبلباي** " وسألته :

– إذن فقد كنت تعرفها .. ؟ لقد كنت أحبها ، ولكنها كانت تبدو في بعض الأحيان جامحة الخيال .

فسألها :

– وما السبب .. ؟

– كانت دائمًا تحذرني من خطر يحيق بي، وكنت إذا سألتها عما يدعوها إلى مثل هذا القول تجيبني بأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد إحساس داخلي، ومن الغريب أنها قبيل سفرها إلى "**لندن**" كانت تحس أن شرًّا سينزل بها ، وفعلاً دهمتها السيارة ، حتى بت أعتقد أنها كانت لها حاسة سادسة تكشف لها المستقبل .

وعقَّب " **لوك** " بقوله :

– في بعض الأحيان ينكشف المستقبل أمام بصيرة بعض الناس .

فقالت :

– وهذا ما يجعلني قلقة بعض الشيء عندما أذكر تحذيراتها لي .

– ينبغي يا فتاتي أن تنفضي عنك القلق .

وبدا على الفتاة شيء من التردد ثم قالت :

– ثمة شيء يتعلق بابنة عمك .. " **بريدجيت** " .

فسألها في لهفة :

– أي شيء يا ترى .. ؟

– السيدة " **بنكرتون** " كانت قلقة بشأنها ، وكانت تبدو خائفة عليها .

وفي حركة فجائية أدار " **لوك** " رأسه ناحية الغابة حيث رأى " **بريدجيت** " و"**الزويرثي** " منذ دقائق يتجهان إليها .. إن " **الزويرثي** " يمارس السحر ، وهو رجل بغيض ، فهل يا ترى ينوي شرًّا بـ" **بريدجيت** "؟!

وكأنما كانت الفتاة تقرأ أفكاره ، فقد سألته :

– ترى هل تحب السيد " **الزويرثي** " .. ؟

فأجابها دون تردد :

– كلا بكل تأكيد .

فقالت :

– و"**جيوفري** " أيضًا لايحبه .. أعني الدكتور " **توماس** " .

– وأنت .. ؟ مارأيك .. ؟

– هناك فيض من الشائعات تدور حوله .. لقد قيل إنه أقام حفلاً في حديقة السحرة في القرية .. حفلاً أمَّه الكثيرون من أصدقائه القادمين من "**لندن**" ، وقد حضر " **تومي بيرس** " هذا الحفل .

وكان هذا النبأ مفاجأة لـ " **لوك** " . استدار إليها وسألها في صوت حاد النبرات :

– أموقنة أنت من أن " **تومي** " حضر هذا الحفل .. ؟

– هذا لاشك فيه .. وكان يلبس طرطوراً أحمر ومعطفًا من نفس اللون ، وكان ذلك في آذار (مارس) على ما أعتقد .. فـ " **بيرس** " بطبعه فضولي تواق إلى أن يعرف كل ما يجري في القرية .

فقال " **لوك** " في صوت خافت كمن يخاطب نفسه :

– لعله عرف إذن ما كان ينبغي ألا يعرف .

واستطردت " روز " :

– لقد كان أيضًا ميالاً إلى القسوة . يضرب القطط ويعاكس الكلاب ويسب الأطفال .

– كان إذن من طراز لا يثير موته الأسى .

– هو ذلك ، ولكن الصدمة على أمه كانت شديدة .

– إن لديها على أية حال خمسة أولاد يسرون عنها .

– إذن فقد قابلتها ... إنها امرأة ثرثارة .

فقال " **لوك** " :

– صدقت .. فما إن اشتريت منها علبة سجائر حتى عرفت تاريخ أهل القرية جميعًا .

فقالت " روز " في نبرة تنم عن التذمر :

– إنها قرية كريهة .. فما من إنسان فيها إلا ويعرف كل شيء عن غيره .

فقال " **لوك** " في كلمات متمهلة رصينة :

– إن لكل إنسان سره يا فتاتي. إن المرء ليجهل حقيقة أقرب الناس إليه وأعزهم على قلبه .

فتطلعت إليه " **روز هامبلباي** " بعينين وجلتين وقالت :

– سيد " **فيتز ويليام** " .. أرجو ألا تردد هذه العبارات المخيفة .

فتأملها بنظرة عميقة وقال :

– وهل أخافتك كلماتي ؟

فأومأت برأسها إيجاباً دون أن تتكلم، ثم استدارت فجأة وهي تقول :

– أظن أنه ينبغي أن أنصرف الآن .

ثم أردفت :

– إن أمي متلهفة إلى مقابلتك طالما تعرف بعض أصدقاء أبي ، فلعلك تتفضل بزيارتنا ..

– سوف أفعل بكل تأكيد .

ووقف " **لوك** " يتابعها ببصره وهي تبتعد ، وتمنى أن يبذل أقصى ما في وسعه لكي يحميها مما قد يتهددها .

ولكن أي شر ذلك الذي يتهددها .. ؟ إنه في هذه اللحظة لم يكن يعرف الرد .

انتزع " **لوك** " من استغراقه في خواطره وقع أقدام تدق الأرض أمامه .

رفع رأسه وتطلع ، فإذا بالسيد " **الزويرثي** " يهبط التل راجعًا من الغابة ، تشيع في سمات وجهه أمارات الرضا والارتياح . ولكنه كان وحده ، و " **بريدجيت** " ليست في رفقته . وتسمر " **لوك** " مكانه يتنازعه الخوف والقلق .

أين " **بريدجيت** " إذن .. ؟ ولم رجع " **الزويرثي** " وحده ؟ ما الذي فعله بها ؟

وحيا صاحب حانوت التحف " **لوك** " فسأله هذا :

– يبدو أنك كنت تستمتع بمشاهدة الطبيعة الرائعة ...

وكان جواب " **الزويرثي** " :

– كلا .. كلا .. إني أمقت الطبيعة .. إنك تجد فيها المشهد الجميل جنبًا إلى جنب مع المشهد القبيح الذي يثير التقزز .. إن من رأيي أن المرء لا يمكن أن يستمتع بالمشاهد الطبيعية إلا إذا تدخل الإنسان وهذبها بنفسه . إنني رجل أحب أن أستمتع بحياتي يا سيد " **فيتز ويليام** " ، ولكن بشرط أن أجعل الحياة على الوجه الذي أرتضيه ويروق لي .

فتساءل " **لوك** " :

– وكيف يتسنى لك أن تفعل هذا ؟ ..

– إن الوسائل متعددة ، ولكن ينبغي أن يتوافر للمرء ذوق فني مرهف .

ثم أردف :

– ولكي يتذوق الإنسان الحياة يجب أن يكون مجنونًا .. إن العقل قيد على الحياة .. إنه يجعل المرء مرتبطًا بتقاليد معينة ، أما الجنون فمعناه الانطلاق الحر غير المقيد . معناه إرسال النفس على سجيتها دون عائق أو قيد .

وأمسك " **الزويرثي** " عن الحديث بغتة ثم قال :

– يؤسفني أن حلت دونك ومتابعة رياضتك .

ولوح بيده يحيي " **لوك** " ثم استدار يتابع طريقه .

وعاود " **لوك** " شعور القلق :

..ترى أين " **بريدجيت** " .. ؟ لماذا رجع "**الزويرثي**" وحده دونها وقد صعدا التل معًا ودخلا الغابة معًا . وتحوَّل " **لوك** " يرتقي التل في خطوات سريعة والقلق يفري قلبه ... كانت الشمس قد غابت وراء الأفق ، والسماء تبدو ملبدة بالغيوم ، والجو كله مشحون ببوادر الشر والجريمة .

وانعطف الطريق بـ " **لوك** " إلى بقعة منبسطة معروفة باسم " **حديقة السحرة**" ، وهي المكان الذي اعتاد السحرة أن يعقدوا فيه مؤتمرهم السنوي.وفجأة طغى عليه

شعور بالفرحة والابتهاج .

فهناك .. على قيد عشرات من الأمتار لمح " **بريدجيت** " جالسة على الأعشاب، وقد أسندت رأسها إلى راحتها ، مستغرقة في التفكير . وبادر إليها مسرعًا يستخفه الفرح .

وفي بطء رفعت إليه " **بريدجيت** " رأسها ، وكان وجهها جامداً كأنما هو قطعة قدت من الصخر ، وبدا له من نظراتها أنها كانت شاردة في مكان بعيد سحيق، كانت في دنيا أخرى ، وأنها ارتدت لتوها منها .

وصاح بها " **لوك** " وقد أخذه الخوف :

– "**بريدجيت** " .. إنك بخير ، أليس كذلك .. ؟

فتطلعت إليه في شيء من الدهشة وأجابت :

– إني بخير بالتأكيد .. ولكن لِمَ هذا السؤال .. ؟

ولاحت على شفتي " **لوك** " ابتسامة بلهاء وأجاب :

– الحق لا أدري .. كل ما هنالك أن الخوف عليك غشيني فجأة .

ودار " **لوك** " ببصره فيما حوله ثم قال متسائلاً :

– إذن فهذه هي حديقة السحرة .. ؟

فأومأت " **بريدجيت** " برأسها إيجابًا ، فاستطرد " **لوك** " :

– أترين ما يدور بخاطري وأنت جالسة في حديقة السحرة ، وخصلات شعرك متدلية يعبث بها الهواء ؟

فتأملته وقالت :

– قل لي ما الذي يدور في رأسك .. ؟

فأجاب :

– يخيل إليّ وأنا أتطلع إليك انك إحدى الساحرات ، وأنه لا ينقصك إلا مكنسة تجلسين عليها فتطير بك وتحملك إلى أي مكان ..

فابتسمت " **بريدجيت** " ابتسامة خفيفة وقالت :

– لقد ردد السيد " **الزويرثي** " على مسمعي نفس هذا المعنى منذ لحظات .

فقال " **لوك** "

– " **الزويرثي** " .. ؟

– لقد التقيت به منذ قليل .

واستطردت :

– لقد تأرقت ليلة الأمس وكنت أفكر في هذه الأمور التي تشغلنا ، وانتهيت إلى أنه إذا كان هناك قاتل حقًّا ، فهو لا بد أن يكون مجنونًا .

واستعاد " **لوك** " إلى ذاكرته حديث الدكتور " **توماس** " فقال لها :

– ولكن هذا القاتل المجنون يمكن أن يبدو عاقلاً ، مثلي ومثلك ، وليس ضروريًّا أن تكون تصرفاته متسمة بالجنون .

واستطردت " **بريدجيت** " :

– وجعلت أدرس شخصيات أهل القرية ، وانتهيت إلى أنه إذا كان لابد أن يكون القاتل مجنونًا ، فهو لابد أن يكون " **الزويرثي** " ، ولا أحد سواه .. إنه شخص شاذ غريب الطباع .

فقال " **لوك** " في نبرة تنطوي على الاعتراض :

– ولكنه ليس الوحيد شاذ الطباع .

فقالت :

– ولكن انظر إلى يديه .. إن له يدين كريهتين .

فقال " **لوك** " :

– إذن فقد فطنت أنت أيضاً إلى هذا ؟

– أليس غريبًا أن تفتقد يداه اللون الأبيض ، وأن يشوبهما شيئًا من الاخضرار .. ؟

فضحك " **لوك** " في مرح وقال :

- ولكننا لا نستطيع أن ندين إنسانًا بتهمة القتل بسبب لون يديه .

- بالتأكيد لا .. إن ما ننشده هو الدليل القاطع .

وقال " **لوك** " مزمجرًا في سخط وغضب :

- الدليل القاطع .. ! بالتأكيد هذا هو ما نفتقر إليه ، ولكن القاتل الذي نحن بصدده حذر يقظ ..

وران عليهما الصمت برهة ، ثم قالت " **بريدجيت** " :

- لقد خطر لي أن أستدرج " **الزويرثي** " إلى الاعتراف، إن كان هو القاتل ، ولذلك بدأت خطواتي الأولى .

- حدثيني إذن بما فعلت .

- إنه من حين لآخر تعقد في هذه الحديقة اجتماعات سحرية يؤمها نفر من أصدقائه القادمين من "**لندن**" ، وفي هذه الاجتماعات يمارسون طقوسًا سحرية، للعربدة والإباحية فيها أكبر نصيب ، وإنه ليخيل إليّ أنه وأصدقاءه يعبدون الشيطان ، ويرقصون رقصات غريبة .

وقال " **لوك** " :

- لقد سبق أن اشترك " **تومي بيرس** " في إحدى هذه الحفلات ، ولبس معطفًا وطرطورًا .

فقالت " **بريدجيت** " :

- وهذا يفسر السر في مصرعه .

- أتعنين أن لسانه أفلت فتحدث عما شاهده ؟

- أعتقد هذا .. أو لعله حاول أن يبتز مالاً من " **الزويرثي** " ثمنًا لسكوته .

فقال " **لوك** " مؤمنًا على قولها :

- هذا محتمل .

وعادت " **بريدجيت** " تواصل حديثها قائلة :

– لقد اهتدينا حتى الآن إلى قيام علاقة بين " **الزويرثي** " وبين اثنين من الضحايا، هما " **إيمي جيبس** " و " **تومي بيرس** " .

– ولكننا لم نهتدِ بعد إلى وجود علاقة بينه وبين باقي الضحايا .. أعني "**كارتر**" والدكتور " **هامبلباي** " وربما كان الدكتور "**هامبلباي**" مجنوناً ، فقرر هذا أن يزيحه من الطريق ؟

– هذا احتمال جائز .

واستطردت " **بريدجيت** " :

– لقد ألقيت شباكي اليوم حول " **الزويرثي** " . وغرضي أن يدعوني إلى حضور اجتماعه السحري القادم .

فهتف بها " **لوك** " وقد غشيه شيء من الخوف :

– " **بريدجيت** " .. بالله عليك كوني على حذر .

علت الدهشة وجهها وتأملته في استغراب .

وقال :

– لقد قابلت " **روز هامبلباي** " منذ قليل ، وجرّنا الحديث إلى ذكر السيدة"**بنكرتون** " فقالت لي الفتاة إن السيدة " **بنكرتون** " كانت تساورها المخاوف عليك .

– وماذا قالت أيضًا .. ؟

– السيدة " **بنكرتون** " كانت قلقة بشأنك ..كان هذا هو كل ما ذكرته .

- 11 -

قال " **لوك فيتز ويليام** " معتذرًا :

– أخشى أن أكون قد أخذت من وقتك أكثر مما ينبغي .

ورد مدير البنك السيد " **جونز** " وهو يلوح بيده :

– أبداً .. يا سيد " **ويليام** " .. إنِي سعيد بلقائك .

وقال " **لوك** " :

– إن أمر هذه القرية عجيب حقًا ، فهي حافلة بالخرافات .

ورد السيد " **جونز** " بأن التعليم هو وحده الكفيل بالقضاء على الخرافات ، وأشار إلى ما فعله اللورد " **هويتفيلد** " بإنشاء مكتبة كبيرة في القرية؛ لتثقيف أهلها .

وقال :

– إنه رجل مكافح ، عرف كيف يصعد بكفاحه من الحضيض .

فقال " **لوك** " معقبًا :

– أو قل هو الحظ الذي رفعه .

فتطلع إليه السيد " **جونز** " ، فاستطرد " **لوك** " :

– إن الحظ هو الشيء الوحيد الذي يعول عليه .. ولنأخذ القاتل مثالاً لما نقول: لِمَ ينجو القاتل من عاقبة جريمته، أهي قدرته أم هو الحظ ؟

ورد السيد " **جونز** " :

إن الأرجح أن الحظ هو الذي ينقذه.

فقال " **لوك** " مسترسلاً :

– ولنأخذ رجلاً مثل " **كارتر** " صاحب حانة "النجوم السبعة" .. من المعروف أنه لا يكاد يفيق من سكره ، وأنه في كل ليلة يعبر القنطرة في رجوعه إلى داره ... فلماذا .. ؟ لماذا في هذه الليلة بالذات تزل قدمه فيسقط في النهر ويغرق ... ؟ الحظ بالتأكيد .

فقال السيد " **جونز** " معلقًا وهو يبتسم :

– حظ سيئ لـ " **كارتر** " وحظ طيب لزوجته وابنته .

فقال "**لوك**" :

– لقد سمعت أنه كان يسومهما العذاب .

وقرع الباب ودخل أحد الكتبة يحمل دفتر الشيكات الذي طلبه " **لوك** " ، فنهض وهو يقول :

– أرجو أن يكون الحظ قد حالفك هذا العام في سباق الـ"**دربي**" .. ؟

وأجاب السيد " **جونز** " بأنه لا يراهن أبداً على الخيل ، وأن زوجته تمقت المراهنات مقتًا شديداً . فسأله " **لوك** " :

– إذن فأنت لم تشاهد سباق الـ"**دربي**" هذه السنة ؟

– كلا بالتأكيد .. إني لم أشاهد السباق في حياتي إلا مرة واحدة ، وأنا بعد في عنفوان الشباب .

– وأهل هذه القرية .. أهم مولعون بمشاهدة سباق الخيل ؟

– النقيب " **هورتون** " يذهب إلى السباق دائمًا ، فهو مولع بالمراهنات . والسيد " **أبوت** " يغلق مكتبه غالبًا يوم السباق ويمضي إلى "**لندن**" .

وانصرف " **لوك** " ، وقد استقر رأيه على استبعاد السيد " **جونز** " من قائمة المشتبه فيهم ، فإنه لم يبرح القرية يوم السباق فلم يكن في "**لندن**" ساعة مصرع السيدة "**بنكرتون**" أما السيد " **أبوت** " و " النقيب " **هورتون** " فقد زارا "**لندن**" يوم أن دهمت السيارة السيدة " **بنكرتون** " و يمكن أن يكونا محلاً للاشتباه .

وقال " **لوك** " في نفسه : "والدكتور " **توماس** " .. ؟ ترى، هل كان في "**لندن**" في ذلك اليوم .. ؟ و " **الزويرثي** " .. ؟ أتراه غادر القرية .. ؟ إن عليه أن يستوثق بهذا ، وإن لم يفته أن مصرع " **بنكرتون** " قد يكون مجرد حادث عادي من حوادث القضاء والقدر ، على أنه ما لبث أن نبذ هذه النظرية ، فقد كان مصرع السيدة " **بنكرتون** " – وهي تهم بعبور الطريق داخلة إلى " **اسكتلانديارد**" –

أغرب من أن يقع مصادفة ، بل أغلب الظن أنها جريمة متعمدة" .

ومضى من فوره إلى جراج " **بيبول** " الذي يعمل فيه خطيب " **إيمي جيبس**" التي ماتت متسممة بطلاء القبعات .

وتلقاه صاحب الجراج مرحبًا ، ورفع غطاء السيارة و "**لوك** " يشرح له مواطن الخلل المزعوم الذي يحس به، ونادى الرجل الميكانيكي الشاب :

– " **جيم** " ... هل لك أن تأتي هنا لحظة .. ؟

إذن فهذا هو " **جيم هارفي** " خطيب " **إيمي** " .

وفحص الميكانيكي السيارة ، وقال إنه لا عيب بها ، غير أن الكهرباء تحتاج إلى شيء من الضبط ، و"البوجيهات" في حاجة إلى غسلها وتنظيفها . ووافق " **لوك**" على أن يتركها في الجراج حتى الصباح .

وقال " **لوك** " عرضًا وهو يهم بالانصراف :

– ترى هل حالفك الحظ في سباق الـ"**دربي**" . ؟

– كلا بكل أسف .. لقد خيب " **كلاريجولد** " ظني .

– أما " **جوجوب** " فكان الأول على عكس التوقعات . وأردف " **لوك** " متسائلاً استطرادًا للحديث :

– ألم تشاهد سباق الـ"**دربي**" في حياتك .. ؟

– لا لم أشاهده بكل أسف ، وإن تمنيت أن أشاهده . وقد هيأت لي الظروف هذا العام تذكرة مخفضة إلى نصف ثمنها ، ولكن صاحب الجراج أبى أن يمنحني إجازة

وانصرف " **لوك** " وقد استبعد " **جيم هارفي** " من قائمة المشتبه فيهم. إنه لم يكن في "**لندن**" يوم مصرع السيدة "**بنكرتون** " ، فهو إذن لم يكن القاتل الخفي الذي دهمها بسيارته .

وفيما هو عائد إلى القصر سائرًا بمحاذاة النهر إذا به يلتقي بالنقيب "**هورتون** "

وكلابه .

وللمرة الثانية مضى " **هورتون** " يحدج " **لوك** " بنظرات جسورة دون حياء . ولكنه ما لبث هذه المرة أن وجه إليه الحديث قائلاً :

– معذرة عن تطفلي يا سيدي ، ولكنك السيد " **ويليام** " فيما أظن .. ؟

– تمامًا يا سيدي .

– وأنا النقيب " **هورتون** " . أعتقد أننا سوف نلتقي غداً في مباراة التنس في قصر اللورد " **هويتفيلد** ، فقد تفضلت الآنسة " **كونواي** " بدعوتي إلى المشاركة في اللعب . إنها ابنة عمك فيما سمعت .؟

– نعم .. إنها ابنة عمي .

وسار الرجلان معًا ، وكلاب النقيب " **هورتون** " "البولدوج" تتقدمهما .

وقال النقيب :

– إنني مغرم بهذا النوع من الكلاب ... إنها شديدة الوفاء . ثم أردف :

– إن مسكني قريب من هنا ، فلِمَ لا تصحبني لنتناول قدحًا من الشراب،

وألفاها " **لوك** " فرصة سانحة تهييء له أن يعرف المزيد عن " **هورتون** " .

وأخذ النقيب يحدثه عن الجوائز التي فازت بها بعض كلابه في شتى المباريات ، حتى انتهيا إلى البيت .

وقاد النقيب ضيفه إلى قاعة استقبال انتظمت على جدرانها صفوف من الكتب ، ثم انهمك في إعداد الشراب .

وكانت فوق رف المدفأة صورة مرسومة بالزيت لإحدى السيدات ، وتطلع إليها "**لوك** " يتأملها .

وقال " **هورتون** " :

– إنها صورة زوجتي ... لقد كانت امرأة عظيمة .. تأمل وجهها .. إن قسماته توحي بقوة شخصيتها ، أليس كذلك .. ؟

فقال " **لوك** " مؤمنًا :

– إنها تبدو فعلاً قوية الشخصية .

وعاد النقيب يقول :

– إنها امرأة عظيمة .. ومن سوء الحظ أنني رزئت بموتها منذ عام تقريبًا. ومنذ وفاتها لم أعد ذلك الرجل الذي كنته من قبل .

فقال " **لوك** " :

– حقًا .. ؟ هذا شيء يؤسف له .

– إنني افتقدها . إن الرجل في حاجة دائمًا إلى زوجة تسانده وتحثه وتشجعه.

واستطرد النقيب " **هورتون** " في لهجة من الأسى :

– لا أنكر أن الزواج في البداية يبدو كريهًا ، إذ يجد الرجل نفسه فجأة مقيداً وقد كان من قبل حرًا طليقًا . ولكنه لا يلبث أن يدرك أن الزواج ليس قيوداً ، وأغلالاً .. إنه النظام بدلاً من الفوضى .

وكان " **لوك** " يدرك مما عرف به من قبل أن السيدة " **هورتون** " أذاقت زوجها الويل ، وأنها كانت متسلطة عليه . وسأل " **هورتون** " :

– أمتزوج أنت يا ترى .. ؟

– لا ... إني لم أتزوج بعد .

– في الوقت المناسب سوف يحين الأوان ، وعندها تذكر قولي يا بني . ليس كالزواج متعة .. كانت " **ليديا** " واحدة في الألف ... كان الناس جميعًا يجلونها.

واستطرد " **هورتون** " :

– كانت امرأة فريدة .. كانت تكره اللغو والسفاسف . وكانت إذ تحدج أي إنسان بنظرها ، فإذا به ينكمش وينهار .. كانت لدينا بعض الوصيفات ولكنها

عرفت كيف تخضعهن وتلزمهن الأدب .

وتابع النقيب " **هورتون** " الحديث بقوله : – هل تعرف أننا استخدمنا في سنة واحدة أكثر من خمس عشرة طاهية ووصيفة . . ؟

وآثر " **لوك** " أن يجاري صاحبه ، وأن يطري براعة زوجته .

واستطرد " **هورتون** " :

– إذا لم ترقها الطاهية أو الوصيفة قذفت بها إلى قارعة الطريق بغير تردد . .

– ولكن قد يكون الأمر شاقاً على ربة البيت في بعض الأحيان إذا ما خلا البيت من الخدم .

– إننا لم نشعر قط بمثل هذه المشقة ، فإنني أجيد الطهي إلى درجة كبيرة ، فإذا ما طردنا الطاهية حللت مكانها على الفور . كما أنني لم أكن أبالي بأن أغسل الأواني والصحون . . إن في غسلها يا صديقي متعة كبيرة . . كما أنني أجيد عملية الكنس .

ووافقه " **لوك** " على مضض على أن غسل الصحون والأواني متعة لذيذة .

وسأله " **لوك** " :

– وزوجتك . . ؟ ألم تكن تساعدك في الأعمال المنزلية . . ؟

وكان جواب النقيب " **هورتون** " غاية في الغرابة .

قال :

– إنني لا أحب أن أركن إلى زوجتي . على أنه ما لبث أن أردف قائلاً :

– وفضلاً عن هذا فقد كانت صحة " **ليديا** " من الرقة والضعف بحيث لا تحتمل عبء الأعمال المنزلية ، فآثرت أن أتولاها بنفسي .

– إذن فالسيدة " **هورتون** " لم تكن قوية البنية . . ؟

– كانت روحها المعنوية عالية ، فكانت تأبى أن تتخلى عن واجباتها وتستسلم، أما الأطباء فكانوا لا يدركون علتها . . إن الناس يزعمون أن " **هامبلباي** " طبيب

قدير ، ولكن الواقع أنه من أشد الأطباء جهلاً ... إني أعتقد أنه لم يسمع قط عن شيء اسمه الاضطرابات العصبية ... لقد عجز عن تشخيص مرض " **ليديا** " ، واضطررت أن أصارحه بهذا دون مواربة ، فغضب وانصرف إلى غير رجعة ، فما كان مني إلا أن استدعيت الدكتور " **توماس**" .

– إذن فقد كنت تؤثره على " **هامبلباي** " .. ؟

– إنه أقدر من " **هامبلباي** " ... والواقع أنها بدأت تتحسن على يديه ، لولا أن عاجلتها المنية .

فقال " **لوك** " متسائلاً في لهجة بريئة براءة الأطفال :

– أكان موتها هينا ، أم كابدت الأوجاع ؟

وأجاب النقيب " **هورتون** " :

– بل كابدت آلامًا شديدة ، فقد أصيبت بنزلة معوية حادة ... مسكينة "**ليديا**" لقد تعذبت كثيراً .. وقد جئت لها بأكثر من ممرضة ، ولكنها كانت تطردهن واحدة بعد الأخرى . كانت تقول عنهن إنهن يضعن لها السم في الطعام والشراب... بالتأكيد لم يكن هذا صحيحًا ولكن هؤلاء الممرضات كن قاسيات على " **ليديا** " يصدرن لها التعليمات الطبية في صرامة ، كان لا إرادة لها ، فكرهتهن جميعًا .

وقال " **لوك** " :

– أعتقد أنه كان للسيدة " **هورتون** " صديقات كثيرات في " **آش** " .. !

– أوه ! إن الناس كانوا يحبونها كثيراً ويجاملونها دائمًا ... فاللورد " **هويتفيلد** " كان يبعث إليها من حين لآخر بعنب ودرّاق (خوخ) من حديقته... وكانت بعض صديقاتها القدامى يأتين ليجلسن معها ويؤنسن وحدتها... "**هونوريا وينفليت** " مثلاً و " **لافينيا بنكرتون** " .

وتساءل " **لوك** " :

أكانت السيدة " **بنكرتون** " تتردد عليها ؟

– نعم ... كانت سيدة طيبة القلب ، وكانت تستفسر دائمًا عن الأدوية والأطعمة التي تتناولها ... كان هذا منها دليلا على العطف والمحبة ، ولكني كنت أرى فيه مبالغة لا داعي لها .

– إنك محق في هذا ، فأنا مثلك لا أطيق المبالغة .

وتحوّل الحديث إلى الألعاب الرياضية وقال النقيب :

– ليس في هذه القرية اللعينة من يجيد لعب الجولف .

فتساءل " **لوك** " :

– والسيد " **الزويرثي** " صاحب محل التحف .. ألا يلعب الجولف .. ؟

– إنه رجل بغيض ، وأنا لا أطيقه .

– هل مضت عليه في " **آش** " مدة طويلة ... ؟

– سنتان فقط .. ومن الغريب أن " **ليديا** " كانت تثق به ، فتناولت بعض الأدوية التي يصنعها من الأعشاب ، ولكنها لم تأتِ بالنتيجة المنشودة .

– وما رأيك في المحامي " **أبوت** " ؟ فإني في حاجة إلى استشارة قانونية .

– يقولون إنه ذكي قدير ،. ولكنني في الواقع لا أدري الحقيقة ، فقد تشاجرت معه عندما حضر لكتابة وصية زوجتي قبل موتها .. إنه في رأيي رجل مغرور متعالٍ.

فقال " **لوك** " :

– لقد تناهى إليّ أنه رجل مشاكس .

– هذا صحيح ، فقد تشاحن مع " **هامبلباي** " مشاحنة شديدة .

واستطرد النقيب " **هورتون** " يقول :

– هل يمكنك أن تتصور أن يموت الدكتور " **هامبلباي** " متسممًا من خدش أصاب يده .. ؟ لو أنه بادر إلى تطهيره لما أصابه سوء ، ولكنه أهمل وتهاون.

ونهض " **لوك** " يستأذن في الانصراف .

وفي الطريق قال لنفسه : "هذا غريب .. ! الناس جميعًا يرددون أن " **ليديا** " أذاقت زوجها "**هورتون** " أسوأ العذاب ، وهو يحدثني عن سعادته الزوجية ، ومدى حسرته على فقد زوجته .. فهل هو الكاذب أم الناس هم الكاذبون .. ؟ "

- 12 -

كانت مباراة التنس طريفة ممتعة ، وكان اللورد " **هويتفيلد** " رضي المزاج، صافي البال ، يرحب بضيوفه في مودة وحرارة ، وكان ضيوفه هم : " **لوك فيتز ويليام** " ، و " **روز هامبلباي** " و " **أبوت** " المحامي ، والدكتور " **توماس** " ، والنقيب "**هورتون**"، و " **هيتي جونا** " ابنة مدير البنك .

وفي الشوط الثاني من المباراة ألفى " **لوك** " نفسه يلعب مع " **بريدجيت** " ضد اللورد " **هويتفيلد** " و شريكته " **روز هامبلباي** " التي كانت بضرباتها السديدة تعوض أخطاء اللورد " **هويتفيلد** " وفلتاته ، واستطاع " **لوك** " و " **بريدجيت** " أن يسجلا من النقط لصالحهما خمسًا إلى ثلاث .

وعندئذ لاح لـ " **لوك** " أن اللورد " **هويتفيلد** " يفقد أعصابه ويعترض في عصبية على بعض نقط الخطأ أو الفوز ، وبدا مسلكه أشبه بطفل مشاكس ، كما لاحظ أيضًا أن " **بريدجيت** " بدأت فجأة تفقد مهارتها في اللعب ، وأخذت أخطاؤها تتوالى . وانتهى الشوط بأن كسب اللورد وزميلته وخسر " **لوك** " وشريكته " **بريدجيت** " .

وعندئذ لم يعد اللورد ذلك الطفل المشاكس الغضوب وإنما عادت إليه بشاشته، وزايله تجهمه ، واستوى على أحد المقاعد يجفف عرقه ، ويدير في الحاضرين نظرة راضية تفيض سعادة بانتصاره في اللعب .

وقال " **لوك** " مخاطبًا " **بريدجيت** " :

– هل لك أن ترافقيني لمشاهدة حديقة الخضر ؟

وحين انتهيا إلى الحديقة سألها " **لوك** " :

– بالله عليك لم تعمدت أن تخسري الشوط .. ؟

– أنا تعمدت أن أخسر .. ؟ ليس هذا صحيحًا .

– أو تحسبين أنك يمكن أن تخدعيني .. ؟

فردت :

– إني لاعبة مبتدئة .

فقال لها " **لوك** " في عناد وإصرار :

– دعك من المراوغة ...

فاستدارت إليه ، وتطلعت إلى وجهه وقالت :

– نعم .. لقد تعمدت أن أخسر .

– وما السبب .. ؟ أريد أن أعرف السبب .

– السبب واضح .. " **جوردون** " لا يحب الهزيمة ..

– وأنا .. ؟ ألم يخطر ببالك قط أنني أنا أيضًا لا أحب أن أهزم .. ؟

فأجابت :

– إن " **جوردون** " عندي في المقام الأول .. إنه مصدر نعمتي ، وأما أنت فلا.

وانفجر " **لوك** " صارخًا :

– بحق السماء ! لم تريدين أن تتزوجي هذا الرجل القصير القميء .. ؟ هذا الرجل السخيف الثقيل الظل .. ؟

وتأملته " **بريدجيت** " بنظرة ماكرة ، ثم أجابت :

– لأني بصفتي سكرتيرته أتقاضى ستة جنيهات في الأسبوع ، أما بصفتي زوجته فسوف يسجل باسمي عند إبرام عقد الزواج أملاكًا مقدارها مائة ألف جنيه ، وسوف يعطيني علبة مليئة باللآلئ والألماسات ، فضلاً عن مرتب شهري ضخم ، فهل أدركت الآن لم أنوي أن أتزوج اللورد "**هويتفيلد**" ..؟

فقال " **لوك** " في مرارة وقسوة لاذعة :

– ومقابل هذا تمنحينه قبلاتك وجسدك .

فقالت " **بريدجيت** " في لهجة تتسم بالبرود :

– إذا كنت تحسب أن " **جوردون** " يتهالك على الحب فانزع هذه الفكرة من رأسك حالاً ... إن " **جوردون** " – كما لعلك أدركت – ليس إلا طفلاً كبيراً ... إنه في حاجة إلى أم وليس زوجة ... لقد فقد أمه وهو بعد في الرابعة من العمر ، فلابد له أن يستعيض عنها بزوجة تقوم عنده مقام الأم ... زوجة تؤكد له دائماً أنه رجل عظيم ، وتصغي إلى حديثه عن نفسه وعن عظمته .. ذلك الحديث الذي لا ينقطع أبدًا .

فقال لها " **لوك** " في سخرية قاسية :

– وسوف تكونين انت هذه الزوجة ... أو بعبارة أخرى هذه الأم الحانية العجوز..

فقالت :

– ثق بأن مهنتي كزوجة لـ " **جوردون** " لن تختلف كثيراً عن مهنتي كأم له . وأؤكد لك أنه بعد عام واحد سينسى أن يقبلني قبلة المساء ... إن الفرق الوحيد إنما يكمن في المرتب . وتبادل الاثنان نظرات غاضبة حانقة . وقالت "**بريدجيت**" :

– إنني أعرف ما يدور عني في ذهنك الآن .. إنك تقول لنفسك: " إنني أبيع نفسي مقابل المال " .

فصرخ فيها :

– إنك امرأة بلا قلب .

فقالت وهي تهز كتفيها في غير احتفال :

– إني لأوثر أن أكون امرأة بلا قلب ولا أتضور جوعًا .. على أن أكون امرأة بقلب تستجدي لقمة العيش .

واشتد الانفعال بـ " **بريدجيت** " وقالت في صوت يرتجف تأثراً :

– أو تعرف أنت معنى الحب .. ؟ كان في حياتي رجل يدعي " **جوني كورنيش**" .. أحببته ، وأخلصت له الحب ، وأفنيت نفسي فيه ... وإذا به فجأة يتخلى عني ، ويركل حبي في وحشية ، لكي يتزوج امرأة ثرية ... منذ هذه اللحظة كفرت بالحب وبالرجال جميعًا .

وران عليهما السكوت برهة طويلة .

وأخيراً تكلمت " **بريدجيت** " ... قالت في صوت متوتر :

– ومع ذلك ، فبأي حق تتدخل في شؤوني .. ؟

فصمت " **لوك** " طويلاً قبل أن يجيب . وعندما تكلم كان وجهه شاحبًا ، وفي كل كلمة من كلماته نبضة ألم وعذاب .

قال :

– إن لي كل الحق في أن أتكلم .. حق الرجل الذي يهتم بك . وارتدت "**بريدجيت** " خطوة إلى الوراء . تأملت وجهه في دهشة وهمست :

– أتريد أن تقول ...

وأمسكت وهي مازالت تحدجه بنظراتها .

وأومأ " **لوك** " برأسه وقال :

– إنه شيء مضحك في نظرك ، أليس كذلك .. ؟ إذن اضحكي إن شئت فلن ألومك .

واستطرد :

– لقد جئت إلى هذا البيت في مهمة بوليسية فإذا بك تسحرينني .. نعم .. هذا هو ما حدث فعلاً .. إنك سحرتني .

كان " **لوك** " يطلق كلماته في انفعال وهياج ،وقد تضرج وجهه احمراراً .

واستطرد :

– إنني أحبك بجنون يا " **بريدجيت كونواي** " ...وهذا الحب هو الذي يجعلني أرفض أن أقف مكتوف اليدين ،وأنا أراك تتزوجين رجلاً يفقد أعصابه ويثور هياجًا إذا خسر شوطًا من أشواط التنس .

فسألته " **بريدجيت** " في لهفة تنم على عدم الاكتراث :

– وما الذي تقترحه يا ترى ؟

– أقترح أن تتزوجيني ، وهذا في رأيك اقتراح مضحك بغير شك .

فقالت في برود :

– الواقع أنني بدأت أضحك منذ بداية الحديث كله وليس الآن فقط .

قال :

– حسنًا ... الآن عرف كل منا موقفه ، وأظن أنه يحسن بنا أن نعود إلى ملعب التنس ، وسوف تجدينني شريكًا عنيداً يصر على أن يكسب الشوط .

– إنك إذن مثل " **جوردون** " يثير غضبك أن تهزم .

فاستدار إليها " **لوك** " ، وامسك بكتفيها فجأة وقال :

– إن لك لسانًا لاذعًا .. أليس كذلك يا " **بريدجيت** " ؟

فقالت :

– أعتقد يا " **لوك** " أنك لا تميل إليّ كثيرا ، وذلك على الرغم من عاطفتك المتأججة .

فأجاب :

– أعتقد أنني لا أميل إليك على الإطلاق .

وسألته :

– أكنت تنوي عندما عدت إلى الوطن أن تتزوج وتستقر .. ؟

– تمامًا .. هذا فعلاً هو ما كان يدور في خاطري .

– ولكنك لم تكن تنوي أن تقترن بامرأة من طرازي .

– إنني أكره أن أتزوج امرأة مثلك .. إنك أكثر ذكاء مما ينبغي .

وفجأة رفع ذراعيه عن كتفيها ، واستدار متجهًا إلى ملعب التنس وهي إلى جانبه، دون أن يتبادلا كلمة واحدة .

كان القوم قد فرغوا من لعب التنس ، فجلسوا يصيبون شيئًا من الراحة ، ثم جاء الشاي .

وأخذ اللورد يتحدث إلى الدكتور " **توماس** " عن زيارة قام بها لمعامل الدكتور "**ويلرمان كريتز** " للأبحاث الطبية .

وقال :

– كان يهمني أن أفهم الاتجاه الذي تسير فيه أحدث الاكتشافات العلمية .. إنني مسؤول عما ينشر في صحفي ، وهي مسؤولية أعتز بها ، ونحن في عصر العلم ، ولهذا يجب أن نقدم العلم إلى الجماهير ، ولكن في أسلوب مبسط لا يستغلق فهمه على عامة الشعب .

فقال الدكتور " **توماس** " وهو يهز كتفيه بلا مبالاة :

– إن القليل من العلم قد يكون خطرًا على الناس ، فهو يجعلهم يعتقدون أنهم يعرفون ، مع أن الحقيقة أنهم لا يعرفون شيئًا على الإطلاق .

فقال اللورد "**هويتفيلد** " في إصرار :

– إن ما نحن في حاجة إليه هو " العلم المبسط " .. العلم للشعب .

واستطرد اللورد في حديثه يصف زيارته للمعامل :

– الحق أن " **ويلرمان** " أخجلني بإصراره على مرافقتي بنفسه .. لقد رجوته أن يعهد إلى أحد مساعديه بمصاحبتي ، ولكنه أبى إلا أن يرافقني شخصيًا .

فقال " **لوك** " :

– لا أقل من هذا .. ذلك أمر طبيعي .

وبدا اللورد "**هويتفيلد** " ممتنًا شاكرًا .

وتحدث " **هويتفيلد** " برهة عن الأمصال التي تم اكتشافها ، وبعد أن أفاض في الحديث نهضت " **روز هامبلباي** " تستأذن في الانصراف ، فقال " **لوك** " :

– سأصحبك لأحمل عنك مضرب التنس ، فضلاً عن أنني أريد أن أتمشى قليلاً .

وسارا معًا يتبادلان حديثًا عاديا عن الجو ، ثم أشار " **لوك** " إلى ما استولى على اللورد " **هويتفيلد** " من غضب عندما أوشك أن يخسر شوط التنس ، وعقبت "**روز** " على هذا بأنها تفطن إلى الأمر .

وأخيراً قال " **لوك** " عندما انتهيا إلى بيتها :

– أتسمحين لي يا آنسة " **هامبلباي** " بأن أكون فضوليًا . . . لقد أردت أن أقول إن الدكتور " **توماس** " رجل محظوظ . . .

فقالت :

– أوه ! إذن فقد سمعت بالأمر . . ؟

– أكان مفترضًا أن يكون الأمر سرًا . ؟

فقالت " **روز** " :

– ليس في هذه القرية شيء يمكن أن يظل سرًا مطويًا . . . كل ما هنالك أننا لم نشأ أن نعلن خطبتنا رسميًا في حياة أبي .

فسألها " **لوك** " :

– أكان معترضًا على زواجكما . . ؟

– لم يبلغ الأمر حد الاعتراض . . كل ما هناك أنه لم يكن راضيًا عن زواجنا .

– لعله كان يرى أنك أصغر من أن تتزوجي .

– هذا هو ما كان يردده .

– إذن فأنت تعتقدين أنه كان لديه سبب آخر ؟

فتريثت " **روز** " برهة قبل أن تجيب بقولها :

– الذي أعتقده أن أبي لم يكن يحب " **جيوفري** " .

– أكان بينهما عداء شخصي .. ؟

– في بعض الأحيان كان الأمر يبدو على هذه الصورة ... لقد كان أبي من رجال المدرسة القديمة في الطب .. إنهما من طرازين مختلفين تمامًا . وفي بعض الأحيان كانا يصطدمان ، ولكن" **جيوفري** " كان دائمًا صبوراً متسامحًا.

وسألها " **لوك** " :

– ولكن ألم يفصح أبوك قط عن الأسباب التي جعلته غير راضٍ عن الدكتور "**توماس**" .. ؟

– نعم... لم يفصح بشيء ... إنه لم يذكر لي أي سبب .

– هل الدكتور "**توماس**" سكير أو مولع بالمراهنات ؟

– كلا.. مطلقًا ... وأحسب أنه لا يعرف حتى الآن إن كان سباق الـ"**دربي**" قد انتهى أم لم يبدأ بعد .

فقال "**لوك**" كاذبًا محاولاً أن يكتشف الحقيقة :

– هذا عجيب ، فقد خُيِّل إليَّ أنني رأيت في حلبة المباراة يوم الـ"**دربي**" رجلاً يشبه الدكتور "**توماس**" .

– "**جيوفري**" في سباق الـ"**دربي**" ؟ لقد أمضى في "**أشورلد**" طوال اليوم تقريبًا يشرف على حالة وضع .

فقال لها في استغراب :

– إن لك ذاكرة قوية .

– إنني أذكر ذلك اليوم تماماً ، فقد أخبرني "**جيوفري**" أن الوالدين أطلقا على مولودهما اسم "**جوجوب**" ؛ تيمنا باسم الجواد الفائز في الـ"**دربي**" .

ثم أردفت :

– وعلى أية حال فإن "**جيوفري**" لا يغشى أبدًا مباريات السباق؛ لأنه يراها مملة بضجتها التي لا تحتمل .

وحين همَّ "**لوك**" بتحيتها والانصراف قالت له "**روز**" :

– لِمَ لا تقابل أمي .. ؟ إنها تواقة إلى لقائك .

فأجاب :

– وإني لأكون سعيداً بالتعرف إليها .

قدمت "**روز هامبلباي**" السيد "**لوك فيتز ويليام**" إلى أمها فبادلته الأم التحية ثم قالت له :

– إني سعيدة بمقابلتك يا سيدي ، فقد أبلغتني ابنتي أن لك أصدقاء كانوا يعرفون زوجي .

ولم يجد "**لوك**" مفراً من أن يواصل كذبته فقال :

– كانوا يعرفونه يا سيدة "**هامبلباي**" وهو بعد في مقتبل حياته ، ثم انقطعت الصلة بينهم وبينه .

فقالت الأرملة الثكلى الحزينة :

– لكم كنت أتمنى لو أنك قابلته يا سيدي ، فقد كان رجلاً عظيماً، وطبيباً بارعاً وكثيرون تم شفاؤهم على يديه .

فقال "**لوك**" مجاملاً :

– لقد سمعت ثناءً كثيراً عليه .

وفجأة قالت المرأة في انفعال :

– السيد "**فيتز ويليام**" .. هل تعلم أن الدنيا مليئة بالشرور ؟

فأجاب :

– صدقت .. إن الشر موجود في كل مكان .

فعادت تردد وقد اشتد بها الانفعال :

– ولكن هذه القرية بالذات هي الشر مجسداً ..

ثم استطردت :

– وكان زوجي يعلم هذا ، وهو رجل صادق أمين لا ينحاز إلا إلى الحق .

فجأة انهمرت عَبراتها وارتجف جسدها . ونهضت واقفة ومدت إليه يدها تصافحه وهي تقول :

– إني آسفة . . لقد غلبني التأثر . إني آسفة ، ولكن يجب أن تزورنا مرة أخرى . . إن ابنتي تميل إليك كثيراً .

فقال "**لوك**" مؤكداً :

– وأنا أيضًا أميل إليها .

وانصرف تاركًا السيدة "**هامبلباي**" وراءه منتصبة في وسط الردهة ، وأصابعها تتقلص وترتعش .

وفي طريق العودة جعل يفكر في المعلومات الجديدة التي ظفر بها .

لقد عرف أن الدكتور "**توماس**" يوم سفر السيدة "**بنكرتون**" إلى "**لندن**" كان متغيبًا عن القرية يشرف على حالة وضع طوال النهار . ولكنه هو الذي يزعم ذلك، ولا أحد يؤيده في قوله . ثم إن بين القرية التي كان فيها وبين "**لندن**" 48 كم يمكن أن يقطعها بسهولة ، فيدهم السيدة "**بنكرتون**" ويقتلها ، ثم يعود دون أن يفطن أحد .

ولكن ما الذي قصدته السيدة "**هامبلباي**" بقولها إن القرية حافلة بالشرور . . ؟ أتراها تعرف شيئًا معينًا ؟!

أسئلة تدفقت على ذهنه دون أن يجد لها جوابًا .

- 13 -

في صباح اليوم التالي اتخذ "**لوك فيتز ويليام**" قرارًا حاسمًا .

لقد جاء إلى "**آش** " ليجري تحرياته في الخفاء ، زاعما أنه بسبيل تأليف كتاب عن المعتقدات السحرية . ولكن لابد في يوم من الأيام أن يعمل على المكشوف . . فلِمَ لا يبادر منذ الآن بإظهار حقيقة أمره ، والكشف عن الهدف الذي حدا به إلى

القدوم إلى هذه القرية ..؟

وهكذا قرر أن يبدأ تحرياته الجديدة بزيارة" **هونوريا وينفليت**" ، وأن يكاشفها دون مواربة بحقيقة مهمته .

إنه لم يكن قانعًا بالحديث الذي جرى بينهما من قبل ، فقد استشف منه أن هذه المرأة المتوقدة الذكاء تعرف شيئًا معينًا ، وأنها تكتمه دونه فلعله يستطيع في هذه المرة أن يستدرجها إلى الحديث ..

واستهل "**لوك**" حديثه معها بقوله :

– أعتقد أنك خمنت السبب في قدومي إلى هذه البلدة، وأنني لم أحضر لكي أضع كتابًا كما زعمت ..

وأومأت الآنسة "**وينفليت**" برأسها إيجابا ، ولكنها ظلت لائذة بالصمت ، تصغي إلى ما يقول .

واستطرد "**لوك**" :

– لقد جئت ؛ لكي أتحرى عن الظروف التي أحاطت بوفاة هذه المسكينة "**إيمي جيبس**" .

فسألته :

– هل البوليس هو الذي أوفدك ..؟

– لا .. لا .. إنني مخبر خاص .

– إذن فـ"**بريدجيت كونواي**" هي التي استدعتك ..؟

وقرر "**لوك**" أن يتجاوز عن الرد على هذا السؤال .

واستطردت الآنسة "**وينفليت**" :

– إن "**بريدجيت**" فتاة عملية . أما أنا فما كنت لأقدم على مثل هذه الخطوة إلا بعد أن أكون موقنة بالأمر .

– ولكنك موقنة بالتأكيد يا آنسة "**وينفليت**" ؟

فأجابته :

– كلا يا سيد "**فيتز ويليام**" ... إنني لست موقنة بشيء على الإطلاق....وأغلب الظن أن الأوهام استبدت بي فتخيلت أشياء لا وجود لها .

فقال "**لوك**" محاولاً أن يستدرجها إلى الإفضاء بدخيلة نفسها :

– ولكنك على الأقل موقنة بهذه الأشياء التي تتوهمينها .

فقالت المرأة وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة :

– يبدو أننا نتكلم بالأحاجي والألغاز .

– إذن فلأبسط الأمر في وضوح .. هل تظنين أن " **إيمي جيبس** " ماتت مقتولة ، لا قضاء وقدراً .. ؟

– كان موتها أمرًا محزنًا دون شك ... وأيضًا مفاجئًا .

– وظننت أن موتها لم يكن طبيعيا ... ؟

– هذا صحيح .

– وظننت أيضًا أن موتها لم يكن حادثًا عارضًا . ؟

فأجابت :

– لقد بدا لي أن موتها بهذه الطريقة ليس أمرًا محتملاً .

– وبالتأكيد لم يدر بخلدك أنها انتحرت .. ؟

فأجابت بلهجة قاطعة تدل على اليقين :

– إنها قطعًا لم تنتحر .

– إذن فلابد أنك اعتقدت أنها قتلت ..

وترددت الآنسة " **وينفليت** " برهة ، ثم قالت :

– نعم .. لقد خطر لي أنها قتلت ... ولكنها كانت مجرد فكرة طارئة ، إذ كنت أفتقر إلى الدليل .

– تمامًا ... إننا مازلنا نفتقر إلى الدليل ، ولكن أرجو أن تتذكري يا آنسة

" **وينفليت** " أننا نتحدث عن خواطرنا وظنوننا . إننا نشتبه في أن " **إيمي جيبس** " قتلت ، فمن هذا الذي نظن أنه قتلها ؟

وهزت الآنسة " **وينفليت** " رأسها ، ولبثت صامتة .

وقال " **لوك** " :

– من الذي لديه دافع يحمله على قتلها ؟

وفي بطء وتمهل قالت الآنسة " **وينفليت** " :

– أعتقد أنها تشاحنت مع خطيبها " **جيم هارفي** " وإن كنت أعتقد أنه لا يمكن أن يقدم على هذه الفعلة .

وأومأ " **لوك** " برأسه يقرها على رأيها ، ثم استطرد :

– إننا متفقان على أن " **إيمي جيبس** " قتلت ... فهل لديك أية فكرة مجرد ظن عمن يكون القاتل ؟

فأجابت :

– لا .. ليست لدي أية فكرة عن هذا .

– وهل لديك فكرة عن الدافع إلى القتل ؟

– ولا هذا أيضاً .

ولكن خُيِّل إلى " **لوك** " أن لهجة النفي في الإجابتين لم تكن حاسمة .

وسألها :

– هل عملت " **إيمي** " في بيوت كثيرة في القرية ؟

– لقد أمضت عاما تعمل وصيفة في بيت " **آل هورتون** " قبل أن تلتحق بخدمة اللورد " **هويتفيلد** " .

– يمكننا أن نلخص الموضوع فنقول :أولاً: أن شخصًا ما أراد أن يزيح " **إيمي جيبس** " من الطريق . ومن الوقائع التي لدينا نقطع بأن القاتل رجل ، فالمرأة لا تتسلق جداراً لكي تقتل . . . .

وثانيًا :أن القاتل من الطراز القديم ؛إذ استعمل طلاء القبعات وسيلة للقتل...
وثالثًا : أن هذا القاتل لابد أن يكون قوي العضلات ، وإلا لما تسنى له أن يتسلق الجدار .

وأجابت في اقتضاب :

– إنني أشاطرك رأيك .

وقال لها :

– إنني أحب أن أجرب بنفسي تسلق الجدار .

وأذنت له ، فخرج إلى الحديقة ، وتسلق الحائط ، وتسلل من النافذة إلى الغرفة التي قتلت فيها " **إيمي** " .

وحين رجع إلى ربة الدار سألها :

– أكان نوم " **إيمي جيبس** " ثقيلاً ؟

فأجابت :

– إلى أقصى حد .

– والآن ننتقل يا آنسة " **وينفليت** " إلى البحث عن الدافع إلى القتل ، ولنبدأ بأكثر الأمور وضوحًا .. هل تظنين أن ثمة علاقة ما بينها وبين " **الزويرثي** "؟

فأجابت :

– لا أدري على وجه اليقين .

– هل تظنين مثلا أن " **إيمي** " استغلت نقطة ضعف معينة عند "**الزويرثي** " ، فأرادت أن تبتز منه مالاً .. ؟

ترى هل تركت قدرًا كبيرًا من المال عند موتها ؟

– لا أظن ، وإلا لانتهى إلي الخبر .

فقال " **لوك** " :

– هذا يضعف من نظرية الابتزاز . ومع ذلك فثمة نظرية أخرى : أليس من الجائز

أن الفتاة كانت تعرف شيئًا معينًا ... معلومات من شأنها إذا أذيعت أن تصبح خطراً على بعض الناس هنا في " **آش** " ... لقد اشتغلت " **إيمي** " في بيوت كثيرة، فلنفترض أنها وقعت على سر خطير في أثناء خدمتها في أحد تلك البيوت .

وردت الآنسة " **وينفليت** " :

– هذا جائز .

واستطرد " **لوك** " :

– أنت ذكرت لي أن " **إيمي جيبس** " كانت وصيفة عند " **آل هورتون** " عندما ماتت السيدة " **هورتون** " .

وقالت الآنسة " **وينفليت** " :

– ولكن ما الذي جعلك تثير موضوع خدمتها في بيت " **آل هورتون** " ؟

– لا أدري .. كل ما هنالك أنني كنت أفكر في احتمال معين .. لقد أصيبت السيدة " **هورتون** " بنزلة معوية قضت عليها . فهل كان موتها مفاجأة غير متوقعة..؟

– كان مفاجأة لي أنا على الأقل .. كانت قد بدأت تتحسن وتدنو من الشفاء، وفجأة أصيبت بنكسة شديدة وماتت .

– وهل أدهش موتها الدكتور " **توماس** " ؟

– لا أعلم ، لابد أن يكون قد دهش .

فقال " **لوك** " :

– ولكن موتها أثار دهشتك أنت ؟

– نعم .. فقد كنت في زيارتها في اليوم السابق ، وبدا لي أنها تحسنت كثيراً.

وتساءل " **لوك** " :

– وما الذي كانت تظنه هي نفسها عن مرضها ؟

– كانت تشكو الممرضات ، وتردد أنهن يعملن على تسميمها ، وقد طردت

إحداهن لهذا السبب .

وأردفت الآنسة " **وينفليت** " :

–لقد كانت على أية حال امرأة متشككة ، كثيرة الوساوس ، ومع ذلك فقد عجز الأطباء عن تشخيص مرضها ، فلعل علتها جرثومة غامضة ، أو أن هناك من كان يعمل على تسميمها .

وسألها " **لوك** " في صوت حاول أن يجعله طبيعيًا :

– ألم يخامرها الشك قط في أن زوجها هو الذي يحاول أن يتخلص منها ؟

– لا .. هذا الهاجس لم يخطر لها ببال .

ثم أردفت الآنسة " **وينفليت** " تسأل " **لوك** " :

– ترى أهذا هو الذي يدور في ذهنك ؟

وأجاب :

– إني أدرس جميع الاحتمالات ، كما أنني فهمت أن " **هورتون** " ورث عن زوجته ثروة كبيرة . ولكن ما رأيك أنت يا آنسة " **وينفليت** "في هذا الاحتمال؟

فتريثت الآنسة " **وينفليت** " هنيهة ، ثم قالت :

كان النقيب " **هورتون** " متعلقًا بزوجته إلى أقصى حد وهذه الفكرة لا يمكن أن تكون قد دارت بخلده .

وسألها " **لوك** " :

– أكانت السيدة " **بنكرتون** " تشاطرك هذا الرأي . ؟

– لا أدري ، فإننا لم نتحدث في هذا الشأن قط .

وماذا كان رأيها –يا ترى – في " **إيمي جيبس** " ؟

وكان ردها :

– إن لـ "**لافينيا بنكرتون**" في بعض الأحيان آراء عجيبة .

فسألها:

– ما الذي تعنين ؟

– كانت تعتقد أن أمورا شاذة تجري هنا في " **آش** " .

فقال " **لوك** " :

– ومن هذه أن أحدا دفع " **تومي بيرس** " من فوق حافة النافذة .

فحملقت إليه الآنسة " **وينفليت** " في استغراب وقالت متعجبة :

– و كيف عرفت هذا يا سيد " **فيتز ويليام** " .. ؟ !

– السيدة " **بنكرتون** " هي التي أخبرتني برأيها هذا .

فمالت المرأة إلى ناحيته وتساءلت في انفعال :

– إذن فقد كنت تعرفها ؟ ولكن متى تقابلتما .. ؟

– في اليوم الذي دهمتها فيه السيارة في "**لندن**" .

– ما الذي ذكرته لك بالضبط ؟

– قالت إنه نزلت بقرية " **آش** " حوادث كثيرة أكثر من المألوف ، ثم قالت إنها تتوقع أن يحل الدور على الدكتور " **هامبلباي** " .

وسألت الآنسة " **وينفليت** " :

– وهل كشفت لك عمن هو المسؤول في رأيها ؟

وأجاب " **لوك** " في كلمات بطيئة رصينة :

– قالت إنه رجل ذو نظرة خاصة .. نظرة لا يمكن أن يخطئها المرء .. وقد رأت هذا الرجل الغامض يصوب هذه النظرة الشريرة إلى الدكتور "**هامبلباي**" ولذلك وقع في روعها أن الدور قد حل عليه لكي يموت .

فهمست الآنسة " **وينفليت** " في أسى وحسرة :

– ولقد كانت على حق فيما هجس به عقلها .

وسألها " **لوك** " وهو يحدجها بنظرة فاحصة :

– من هذا الرجل يا آنسة " **وينفليت**" ؟

فاجابت :

– إنني لا أعرف . إنها لم تخبرني بشيء من هذا .

فقال :

– ولكنك تستطيعين ان تخمني .. لابد أن لديك ولو فكرة مبهمة عن اسم الرجل الذي في ذهنها .

وأومات الآنسة " **وينفليت** " براسها إيجابًا ، فقال لها " **لوك** " :

– إذن أخبريني باسمه .

فهزت رأسها سلبًا في إصرار وقالت :

– إنك تسألني أمرًا شاذا ... تسألني أن " أخمن " ، ثم تجعل من هذا الاسم محلاً للاشتباه ، مع أنه جاء نتيجة للتخمين . لا يا سيد " **فيتز ويليام** " .. محال أن اتكلم ، فقد يكون الرجل بريئًا . وحاول ان يثنيها عن إصرارها ، ولكنها تشبثت . وأخيرًا لم يجد مفرًا من العدول عن السؤال .

وقبل أن ينصرف سالها أن تكتم ما دار بينهما من حديث .

وعند الباب قالت له :

– ابلغ تحياتي إلى " **بريدجيت** " .

ثم أردفت :

– هل تعلم أنني كنت مخطوبة في يوم من الأيام للورد "**هويتفيلد**" ..؟

فأجاب :

– لم يبلغني شيء من هذا .

– كان ذلك في صدر شبابه ... عندما كان " **جوردون** " لا يزال شابًا مكافحًا، ولكن أسرتي اعترضت على زواجنا ؛لما كان بين الأسرتين من فارق في المكانة ، فإنني أنحدر من أسرة عريقة . وسكتت هنيهة ثم استطردت :

– ولكن " **جوردون** " عرف كيف يكوِّن نفسه ويشق طريقه . ولقد كنت دائمًا

فخورة به معتزة بكفاحه .

وانصرف " **لوك** " وهو يفكر فيما سمع :

ترى من ذلك الرجل الغامض ذو النظرة القاتلة ؟

- 14 -

كانت السيدة " **تشيرش** " – عمة " **إيمي جيبس** " – امرأة لا يميل إليها الإنسان .

وقال لها " **لوك** " في لهجة حادة عنيفة :

– ليس عليك إلا أن تجيبي عن أسئلتي دون مواربة . وإلا عرضت نفسك لعواقب وخيمة .

فقالت :

– إني أكره أن أعرض نفسي للمسؤولية .

وقال " **لوك** " :

– أريد أن أعرف كل شيء عن ابنة أخيك . من أصدقاؤها ؟ .. ما مقدار ما تركت من مال ؟ أريد أن أعرف كل ما من شأنه أن يفيدني في تحرياتي . والآن فلنبدأ بأصدقائها .. من هم ؟

– كانت تخرج يا سيدي مع " **جيم هارفي** " وهو ميكانيكي يعمل في جراج القرية .. وهو شاب مستقيم .

وسألها " **لوك** " :

– ومن غير " **جيم هارفي** " .. ؟

وللمرة الثانية تبدت في عينيها النظرة الماكرة الخبيثة وقالت :

– أعتقد أنك تفكر في صاحب محل التحف . ولطالما نصحتها بأن تقطع صلتها به ، ولكن فتيات هذا الجيل لا يستمعن إلى النصح ثم يندمن بعد ذلك.

– وهل ندمت " **إيمي** " فيما بعد .. ؟

– ليس الأمر كما تظن .. إني أقسم على أن علاقتها بالسيد " **الزويرثي** " كانت بريئة .

– إذن لماذا عرضت نفسها على الدكتور " **توماس** " .. ؟

– لقد أصيبت بسعال شديد .. هذا كل ما هناك .

فعاد يسألها :

– إلى أي مدى وصلت العلاقة بينها وبين " **الزويرثي** " .. ؟

– لا أعلم يا سيدي ، ولكن هذا السيد كان سيىء السمعة ، ويتردد عليه أصدقاء من "**لندن**" ، فيقيمون في حديقة السحرة حفلات صاخبة عند منتصف الليل .

– وهل كانت " **إيمي** " تذهب إلى هذه الحفلات .. ؟

– لقد حضرتها مرة واحدة فيما أعتقد ، وقد أمضت الليل بطوله في الحفل، ولم تعد إلا في الصباح إلى قصر اللورد ، وغضب اللورد غضبًا شديداً ، وانبها على فعلتها ، فردت عليه في قحة ، ففصلها .

وعاد " **لوك** " يسألها :

– ترى هل تحدثت إليك " **إيمي** " عما جرى في هذا الحفل ؟

– إنها لم تحدثني إلا بقليل .

– لقد علمت أنها التحقت بخدمة "**آل هورتون** " ، فما السبب في تخليها عن الخدمة عندهم ؟

– التحقت بخدمة اللورد طمعًا في أجر أعلى .

– وهل عملت لدى السيد " **أبوت** " المحامي ؟

– كلا يا سيدي ، ولكنها زارته في أحد الأيام في مكتبه وإن كنت لا أعلم السبب .

ومضى " **لوك** " يسألها :

– وهل كان لها أصدقاء آخرون ؟

– لم يكن صديقًا بمعنى الكلمة .. ولكنها خرجت معه مرة أو مرتين . وأعني بذلك الرجل التافه " **كارتر** " صاحب حانة" النجوم السبعة " .

وقال " **لوك** " يسألها :

– والصبي " **تومي بيرس** " .. هل كان يقابل " **إيمي** " كثيراً ؟

– كلا يا سيدي .. وكانت " **إيمي** " تفرك أذنه عندما يحاول أن يغيظها .

– وهل لديك فكرة عن الدافع إلى القتل ؟ أتراها كانت راضية عن عملها عند الآنسة " **وينفليت** " ؟

– كان الأجر قليلاً ، فضلا عن أن الآنسة " **وينفليت** " كانت شديدة الاهتمام بتلميع الفضيات ، وكان هذا كفيلا بأن يثير حنق " **إيمي** " .

ووجد " **لوك** " أنه أفرغ كل ما لديه من أسئلة ، فرمى السيدة " **تشيرش** " بنظرة فاحصة وقال :

– لعلك أدركت الهدف من وراء أسئلتي هذه ؟ هبي أنها تورطت ، وأنها قتلت، ولم تمت في حادث وقع قضاء وقدراً فمن تظنين أن يكون مسؤولاً عن مصرعها؟

وسألته وهي تفرك يديها في جشع :

– أهناك مكافأة مرصودة لمن يرشد عن القاتل ؟

فأجاب :

– ربما كان الأمر كما تقولين .

ولعقت السيدة " **تشيرش** " شفتيها جشعا وقالت :

– ليس لدي رأي قاطع ، ولكني أعتقد أن السيد صاحب حانوت التحف رجل شاذ الطباع ، وهو في رأيي لابد أن يكون القاتل .

وسألها "**لوك** " أكان السيد" **الزويرثي** " متغيبًا عن القرية يوم سباق الـ"**دربي**" ؟

أي منذ أسبوعين ، يوم الأربعاء قبل الماضي ؟

– لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال ، ولكن من عادة السيد " **الزويرثي** " أن يغلق حانوته كل أربعاء .

أخذ " **لوك** " بعد انصرافه يدير في رأسه المعلومات التي ظفر بها الآن .

وبعد شيء من التدبر والتفكير وجد أن أصابع الاتهام تشير إلى أربعة أشخاص هم : الدكتور " **توماس** " ،والمحامي " **أبوت** " ، النقيب " **هورتون** " ، و"**الزويرثي** " صاحب محل التحف – فأيهم هو الجاني ؟

وذكر الحديث الأخير الذي جرى بينه وبين الآنسة " **وينفليت** " .. لقد أبت أن تكاشفه باسم الشخص الذي تعتقد أنه اقترف هذه الجرائم . وامتناعها هذا دليل قاطع على أن القاتل شخصية لها شأنها ومكانتها في القرية .. لقد امتنعت لاعتقادها بأن رجال الشرطة والناس جميعًا سوف يسخرون منها إن هي وجهت هذا الاتهام إلى مثل هذا الشخص ذي المكانة المرموقة .

لقد بررت الآنسة " **وينفليت** " امتناعها بأن الأمر عندها لا يعدو أن يكون مجرد رأي شخصي ، وأن الإشارة إلى الاسم قد تسيء إلى مكانة صاحبه .

إذن فهو صاحب مكانة كبيرة .. وهذا الوصف لا ينطبق على " **الزويرثي** " ، لأنه شخص عادي ، مجرد بائع ليست له مكانة اجتماعية مرموقة ، فلا يبقى بعد ذلك إلا ثلاثة . . .

حسنا .. لقد ضاقت دائرة البحث واقتصرت على ثلاثة أشخاص .

ورأى "**لوك**" أن يستبعد أيضًا النقيب " **هورتون** " ، فقد استنكرت الآنسة "**وينفليت** " أن يكون " **هورتون** " قد دس السم لزوجته .. وهذا الاستنكار ما كان ليصدر منها على هذه الصورة الحماسية لو أنه كان في رأيها مقترف الجرائم الأخرى .وهكذا لم يعد باقيًا إلا اثنان : " **توماس** " و " **أبوت** " .

إن عناصر الاشتباه الأساسية تتوافر في الاثنين ، فلهما – كليهما – في البلد

مكانة مرموقة ، كما أنهما محبوبان من أهل القرية ، والتعريض بهما دون دليل كفيل بأن يثير ثائرة القوم .

وعاد " **لوك** " يتدبر الموقف مرة أخرى ، ولكن من زاوية جديدة .إن السيدة "**بنكرتون** " كانت تعرف القاتل ، ولكنها لم تفضِ باسمه إلى صديقتها الآنسة "**وينفليت** " . إذن فالآنسة " **وينفليت** " تجهل اسم القاتل جهلاً تامًا ، وكل ما أدلت به إلى " **لوك** " من معلومات لم يكن يعدو مجرد الحدس والتخمين .

وقال " **لوك** " في نفسه متأملاً : "ولكني أخذت رأيها المبني على الحدس والتخمين قضية مسلمًا بها ، وبنيت عليه تحليلي لموقف المشتبه فيهم وبناء على هذا الرأي التخميني استبعدت " **الزويرثي** " و " **هورتون** " " .

وهز " **لوك** " رأسه وعاد يقول في نفسه : " كيف بلغت بي الغلطة أن أستند إلى التخمين في استبعاد هذين الاسمين من نطاق الاشتباه" . وهكذا ارتد"**لوك**" إلى ما كان عليه من قبل ، وعاد يشتبه مرة أخرى في الأربعة : " **توماس** " و"**أبوت** " و "**هورتون** " و " **الزويرثي** " . ثم شرع يدرس موقف كل واحد منهم.

"إن " **الزويرثي** " هو أقرب الأربعة المشتبه فيهم إلى أن يكون هو القاتل ، فهو شاذ الطباع ، ويكاد يكون مخبولاً ، ويمكن أن تكون به شهوة إلى إراقة الدم .

فلنفترض إذن أن " **الزويرثي** " هو القاتل ، ولنحاول أن نتبين موقفه من الضحايا، ومدى صلته بهم ، والدافع الذي يحمله على قتلهم " .

بهذا أخذ " **لوك فيتز ويليام** " يحدث نفسه .

لدينا أولا السيدة " **هورتون** " .. إن من الصعب هنا أن نلتمس دافعًا يحمل "**الزويرثي** " على قتلها . ولكن وسيلة القتل كانت هينة متاحة ، فقد أشار النقيب " **هورتون** " في حديثه إلى أن زوجته في أثناء مرضها كانت تتناول دواء من خليط الأعشاب أعده " **الزويرثي** " . فلا أهون عنده من أن يمزج بدوائه شيئًا من السموم، كـ"**الزرنيخ** "مثلا. ولكن لماذا يفعل هذا .. ؟ ما الدافع؟ ولننتقل

بعد ذلك إلى باقي الضحايا .

- لماذا يقتل " **الزويرثي** " الفتاة " **إيمي جيبس** " ؟ السبب الواضح أنها كانت مصدر متاعب .. لعلها هددته بأن تقاضيه بتهمة نكث الوعد بالزواج . ثم إنها اشتركت في إحدى حفلاته الصاخبة التي تقام من حين لآخر في حديقة السحرة، فلعلها هددته بأن تفشي ما يجري في هذه الحفلات من فوضى واستهتار .. ومن المعروف عن اللورد " **هويتفيلد** " أنه رجل مستقيم ، فلو أنه عرف أن هذه الحفلات مسرح للعبث لعمل بما له من نفوذ على طرد "**الزويرثي** " من البلدة. ومن الضحية التالية .. ؟ " **كارتر** " بالتأكيد .. غير محتمل أن يكون على علم بما يدور في حفلات " **الزويرثي** " - هذا إلا إذا كانت " **إيمي جيبس** " قد حدثته عنها .. وثمة سؤال آخر .. هو هل حاول " **الزويرثي** " أن يغازلها ؟ لو أن هذا حدث . هل كانت ابنته الحسناء مندمجة في هذه الاحتفالات ؟

إذن لنقم " **كارتر** " على " **الزويرثي** " مسلكه ، ولحاول " **الزويرثي** " بدوره أن يتخلص من غضب " **كارتر** " فيزيحه من الطريق .

والآن يأتي دور " **تومي بيرس** " .. ما الذي يدفع " **الزويرثي** " إلى قتل "**تومي**" .. ؟ إن الرد لمن أهون الأمور .. لقد اشترك " **تومي** " في حفلاته الصاخبة، وعرف مافيها من عبث وشذوذ ، فلعله هدده بإفشاء أسراره ، فما كان من "**الزويرثي** " إلا أن أسكت " **تومي** " إلى الأبد .

ولكن لماذا يقتل " **الزويرثي** " الدكتور " **هامبلباي** " .. ؟

كان " **هامبلباي** " طبيبًا ، وبحكم مهنته كان أقدر الناس على أن يعرف أن هذا الرجل مجنون ، وأنه ذو عقلية مختلة قد تدفعه إلى ارتكاب بعض الجرائم.. وخشي " **الزويرثي** " أن يعمد الطبيب إلى فضح أمره ، فاستقر رأيه على أن يقتله.. ولكن كيف تسنى له أن يقتله بتسمم في الدم .. ؟ إن "**هامبلباي** " مات قضاء وقدرًا بأن تسمم دمه نتيجة خدش أهمل تعقيمه ولا شأن لـ " **الزويرثي** "

بوفاته.

والآن نأتي إلى السيدة " **بنكرتون** " .. إن من عادة " **الزويرثي** " أن يغلق متجره كل أربعاء ، فهل ذهب إلى "**لندن**" يا ترى يوم سباق الـ"**دربي**" – وكان يوم الأربعاء –، أم بقي في القرية .. ؟ لعله عرف أن السيدة " **بنكرتون** " اشتبهت في أمره ، ولعلها ذكرت لشخص ما أنها ستبلغ رجال "**اسكتلانديارد**" عن هذه الجرائم الغامضة ، أو لعله توقع من تلقاء نفسه أنها إنما سافرت إلى "**لندن**" لهذا الغرض ، فبادر إلى اقتفاء خطواتها ، ثم دهمها بسيارته فقتلها وفر هاربًا .

وقال " **لوك** " يخاطب نفسه : هذه هي القرائن التي تؤيد الاشتباه في "**الزويرثي** "،فما عسى أن تكون القرائن المضادة التي تنفي عنه التهمة ؟ إنه قطعًا ليس الرجل الذي كانت الآنسة " **وينفليت** " تعتقد أنه القاتل ، فقد وصفت القاتل بأنه رجل مرموق المكانة و " **الزويرثي** " ليس بهذا الرجل .. كما أنني فهمت من حديث الآنسة " **وينفليت** " أن القاتل رجل متزن ذو عقلية مستقرة ، و"**الزويرثي** " رجل مختل غير متزن

تلك هي القرائن التي في صالح " **الزويرثي** " ، فلنرَ الآن ما يكون من شأن الدكتور " **توماس** " .

ما الذي يدفع " **توماس** " إلى اقتراف كل هذه الجرائم ؟

لماذا يقتل " **توماس** " الفتاة " **إيمي جيبس** " .. ؟ لقد زارته في عيادته بعد ظهر اليوم الذي ماتت فيه ،وهو الذي أعطاها زجاجة الدواء ، فلنفترض أنه خلط بالدواء المادة السامة التي قضت عليها .

إنه من الطبيعي أن يستدعى الدكتور " **توماس** " للكشف على " **إيمي جيبس** " لاكتشاف سبب موتها . ومن السهل عليه جدًا وهو يفحصها أن يضع زجاجة شراب للسعال خالية من السم بدلا من الزجاجة المسمومة ، وأن يضعها على الرف، وأن يضع زجاجة طلاء القبعات بجانب الفراش .

نعم .. إن من السهل جداً أن يفعل هذا دون أن تفطن الآنسة " **وينفليت** " إلى ما فعل .

ولكن ما الدافع إلى القتل .. ؟

وننتقل الآن إلى " **تومي بيرس** " ، ولا يبدو في رأيي أن هناك دافعًا يحمله على قتل " **تومي** " . وكذلك الشأن بالنسبة إلى " **كارتر** " .. ما الذي يدعو الدكتور " **توماس**" إلى القضاء على " **كارتر** " صاحب حانة "النجوم السبعة"؟ إن من المحتمل أن نزعم ولو تعسفًا أن " **إيمي** " و " **تومي** " و " **كارتر** " عرفوا عن الطبيب شيئًا يمسه ويشينه .. ولنفترض أن لهذا الشيء الذي عرفوه علاقة بوفاة السيدة"**هورتون** " .

لقد كان الدكتور " **توماس** " هو الذي يتولى علاجها، وكانت تتحسن يومًا بعد يوم ، ثم إذا بها فجأة تصاب بنكسة شديدة تقضي عليها .

– ولقد كانت " **إيمي جيبس** " تعمل وصيفة في بيت " **آل هورتون** " عندما ماتت السيدة " **هورتون** " . فلعل " **إيمي** " عرفت إذ ذاك شيئًا يدنس سمعة الدكتور "**توماس** " ، وفي هذه النظرية تعليل كافٍ لإقدام الطبيب على قتلها . أما " **تومي بيرس** " فمن المعروف عنه أنه فضولي متطفل فلعله بدوره عرف شيئًا يشين الدكتور " **توماس** " . أما " **كارتر** " فأمره شاق ، وليس لدي تعليل لإقدام الدكتور " **توماس** " على التخلص منه . غير أن من المحتمل ان " **إيمي جيبس** " أطلعته في لقائها به – فقد خرجت معه مرتين – على ما اكتشفته بشأن الدكتور حين كانت تعمل في بيت "**آل هورتون**" .ولعل " **كارتر** "ردد هذا السر وهو سكران لا يعي ولعل الأمر بلغ "**توماس** "، فاستقر على أن يغلق فمه .

والآن نبحث عن الدافع الذي يدعو الدكتور " **توماس** " إلى قتل الدكتور"**هامبلباي** " .

الدافع هنا واضح لا لبس فيه ... المنافسة .. فالمرضى يقبلون على الدكتور

" **همبلباي** " ، فلابد إذن من قتل " **هامبلباي** " ؛ حتى لا يكون في القرية إلا طبيب واحد ، وهو " **توماس** " وبذلك يتضاعف دخله ، فالدافع إلى قتل الدكتور " **هامبلباي** " متوافر بالنسبة إلى الدكتور " **توماس** " ، كما أن وسيلة القتل هينة عليه ، فهو أقدر الناس على أن يدس لـ " **هامبلباي** " جرثومة تسممه .

والآن ننتقل إلى علاقة الدكتور " **توماس** " بمصرع السيدة " **بنكرتون** " إنه لم يكن في قرية " **آش** " أغلب النهار الذي لقيت فيه حتفها . ولقد قيل له إن " **توماس** " كان يشرف على حالة وضع في قرية مجاورة . ولكن الدكتور " **توماس** " نفسه هو الذي قال للناس إنه كان في القرية المجاورة يرعى امرأة تضع مولوداً .. فما يدرينا أنه كاذب في هذا الادعاء .. وحتى إذا كان صادقًا ، فما يدرينا أنه طار مسرعا إلى "**لندن**" بسيارته ، فدهم بها السيدة " **بنكرتون** " وهي تعبر الطريق إلى "**اسكتلانديارد**" ، ثم ارتد راجعًا إلى القرية ينهب الطريق ، والأمر لن يستغرق منه إلا ساعة واحدة أو أكثر قليلاً ، ولذلك لن يشعر أحد بتغيبه عن مباشرة حالة الوضع .

واستطرد " **لوك** " في تحليل موقف أولئك الذين كانوا في رأيه محلاً للاشتباه إن " **أبوت** " يمكن أن يكون هو القاتل فهو أولاً شخصية مرموقة محترمة ، ثم إنه متزن صاحب مكر ودهاء ، وهما صفتان لابد منهما لأي قاتل غامض.. ثم إن "**إيمي جيبس** " زارته في مكتبه ، فما الذي دعاها إلى زيارته .. ؟ أذهبت إليه تنشد منه مشورة قانونية .. ؟ وما فحوى هذه الاستشارة .. ؟ أم لعلها ذهبت إليه لأمر شخصي بحت ؟

لقد قيل إن هناك خطابًا شخصيًّا كتبته إحدى السيدات إلى السيد " **أبوت**" ، وقيل إن " **تومي بيرس** " عبث بأوراق المحامي واطلع على هذا الخطاب السري.

فهل كان الخطاب صادراً من " **إيمي جيبس** " ؟ أم هل كان صادراً من السيدة "**هورتون** " يا ترى .. ؟ وهل استطاعت " **إيمي جيبس** " بطريقة ما أن تستولي

على هذا الخطاب ؟ أم هل استطاعت على الأقل أن تعرف فحواه من "**تومي بيرس**" ، فذهبت إلى المحامي تهدده وتتوعده لكي تبتز منه مالاً حتى لا تفشي سر الخطاب ؟

ولعل مقتل " **تومي بيرس** " نفسه راجع إلى أنه أفضى إلى " **إيمي** " عما عرفه عن هذا الخطاب .

أما مقتل " **كارتر** " صاحب حانة "النجوم السبعة" فربما كان راجعًا إلى قيام علاقة بين " **أبوت** " وبين ابنة " **كارتر** " ، فقد قيل إن " **كارتر** " اقتحم بيت المحامي ، وأخذ يسب ويلعن فلم يكن هناك مفر أمام المحامي " **أبوت** " من قتل " **كارتر** "؛ درءًا للفضيحة الصاخبة ، وكان حسبه أن يتعقب " **كارتر** " عند منتصف الليل وهو راجع إلى داره ثملاً ، فيدفعه إلى النهر وهو يعبر الجسر. أما إقدام " **أبوت** " على قتل الدكتور " **هامبلباي** " فمرجعه معارضة الطبيب له بشأن مشروع المياه ، واستخدامه في المناقشة ألفاظًا نابية مقذعة، ولعله رماه بالغباء أو بالرشوة ، فوجد "**أبوت** " في هذا الاتهام طعنًا لا يغتفر وعماه حقده فقتل الطبيب المسكين .

وقد فطنت السيدة " **بنكرتون** " إلى جرائمه المتتالية ، فقد استشفت في عينيه تلك النظرة القاتلة . ثم رأته يسددها إلى الدكتور " **هامبلباي** " فتوقعت له الموت، وقررت إبلاغ الشرطة ، ولعلها تحدثت في شأنه إلى بعض الناس ، فما كان منه إلا أن لحق بها في "**لندن**"ودهمها بسيارته. ولكن هل يملك " **أبوت** " سيارة ؟ سؤال لم يحيره، فعليه أن يستأجر سيارة يقترف بها جريمته . ومهما يكن فقد كان "**أبوت**" غائبًا عن القرية يوم سباق الـ"**دربي**" .

ومضى " **لوك** " يفكر في النقيب " **هورتون** " .. فلنفترض أنه قتل زوجته ، فبموتها تؤول إليه ثروة كبيرة ، فالدافع متوافر . ولكي يضلل الناس عن الاشتباه فيه يتظاهر " **هورتون** " بالتفاني في حب زوجته. ولكنه أسرف في التظاهر بإخلاصه ، وهذا الإسراف يمكن أن يكون مثيرًا للشك.

وهكذا أقدم "**هورتون** " على قتل زوجته ، مطمئنًا إلى أن أحدًا لن يشتبه فيه.
ولكن " **إيمي جيبس** " كانت تعمل في خدمة "**آل هورتون** " عند وفاة ربة الدار، ولعلها رأت أو لاحظت شيئًا يدين " **هورتون**" فقرر أن يتخلص منها . ولعلها أيضًا حاولت أن تبتز منه مالاً ثمنًا لسكوتها .

أما عن مصرع " **كارتر** " فتعليله أن " **إيمي** " تحدثت إليه بما يدور في خلدها من شبهات . " **تومي بيرس** " قُتل؛ لأنه فضولي يحشر أنفه في كل شيء ولعل الخطاب الذي اطلع عليه وهو يعبث بأوراق السيد " **أبوت** " المحامي كان شكوى من السيدة "**هورتون** " تبدي فيها ريبتها في زوجها ، وأنه يحاول أن يقتلها . فكان أن قرر "**هورتون** " قتله ليدفن سره معه .

ولكن ما علاقته بالدكتور " **هامبلباي** " .. ؟ كان " **هامبلباي** " هو الذي يعالج الزوجة ، ولعله شك في سبب علتها وخامرته الريبة في الزوج ، فأقنع "**هورتون** " زوجته أن تبدل بـ " **هامبلباي** " طبيباً آخر هو الدكتور " **توماس** " ثم قتل "**هامبلباي** " كتمانًا لسره .

و " **هورتون** " لديه سيارة . وكان غائبًا عن القرية يوم سباق الـ"**دربي**" ، فلعله هو الذي دهم بسيارته السيدة " **بنكرتون** " في "**لندن**" وقتلها .

مضى " **لوك** " يدير في رأسه هذه الفروض والاحتمالات ويزن مدى سلامة تحليلاته ليقصي من دائرة الاتهام بعض المشتبه فيهم فاستبعد " **الزويرثي**" ؛ لأن القرائن القائمة ضده ليست قوية قاطعة ، واستبعد " **هورتون** " أيضًا؛ لأن الآنسة "**وينفليت** " – وهي التي تعرف القاتل – نفت أن يكون " **هورتون** " قد دس السم لزوجته .

إذن فلا يبقى بعد ذلك إلا " **أبوت** " و " **توماس** " أحدهما هو القاتل دون ريب، ولكن أين الدليل .. ؟

نعم .. أين الدليل . ؟

- 15 -

جلس " **لوك فيتز ويليام** " في حانة "النجوم السبعة" يحتسي زجاجة الشراب . ورأى " **لوسي كارتر** " ابنة صاحب الحانة الذي غرق في النهر ، وكانت الفتاة على جانب كبير من الجمال، منطلقة مرحة ، تحيي عملاء الحانة بمرح وسعادة ، ولكنها لم تكن تبدو من الطراز سهل الانقياد .

وحين انصرف " **لوك** " كان لابد أن يجتاز القنطرة التي وقع " **كارتر** " في النهر وهو يعبرها ، فوقف عندها برهة يتأملها ومر به أحد رواد الحانة فأقبل عليه يقول :

– نعم .. هنا سقط " **هاري كارتر** " يا سيدي ... لقد عثروا على جثته وقد غاصت في الطين .

– ولكن من الغريب أن يسقط هنا .

– كان سكران ثملاً .

– ولكنه اعتاد أن يعبرها كل ليلة على هذا الحال .

– لعله أفرط في تلك الليلة في الشراب .

فقال " **لوك** " :

– أو لعل أحداً دفعه إلى النهر .

– هذا جائز ، ولكن من هذا الذي يفكر في قتله ؟

– ما يدريك فقد يكون له بعض أعداء ، فقد بلغني أنه كان سليط اللسان وقحاً.

فقال الرجل :

– إنه إن شرب لا يقدر أن يسيطر على كلماته فتنثال من فمه أقبح الشتائم .

ولم يشأ " **لوك**" أن يجادل الرجل في رأيه ، فقال :

– لقد كانت على أية حال مأساة محزنة .

فضحك الرجل وقال :

– بل كانت مأساة مفرحة لزوجته وابنته . فقد كان يعاملهما بقسوة ووحشية.

وتابع " **لوك** " طريقه متجهًا إلى المبنى الذي يضم المتحف .

كان المتحف تافه المحتويات ، لا يضم إلا القليل من الأواني الخزفية وبعض العملات وقليلاً من التماثيل . وفرغ " **لوك** " من مشاهدة المعروضات ، ثم صعد إلى الطابق الثاني فالفى نفسه في غرفة كبيرة كدست فيها الصحف والمجلات فذهب يقلب فيها ، ثم تحول إلى الرفوف يتصفح العناوين .

وصعد " **لوك** " إلى الطابق الأخير العلوي ، وكان مكونًا من عدة غرف أودعت فيها الصحف القديمة . وحتى هذه اللحظة لم يكن " **لوك** " قد التقى بأحد على الإطلاق واقترب "**لوك**" من نافذة الغرفة ووقف يتأملها .

لابد أن " **تومي بيرس** " سقط إلى الحديقة وهو واقف على حافة هذه النافذة منهمكًا في تنظيفها ، وأغلب ظني أنه سمع وقع خطوات شخص يدخل الغرفة ، واقترب منه القادم ومضى يتحدث إليه ، وفجأة دفعه إلى الخارج، فسقط جثة هامدة.

وهبط " **لوك** " الدرج ، ووقف في الردهة السفلى دقيقة أو دقيقتين ، ومع ذلك لم يلتق بأحد .

وقال " **لوك** " في نفسه : "إذن فقد كان في وسع أي إنسان أن يفعل مثلما فعلت" ... كان في وسعه أن يأتي من الخارج إلى الطابق العلوي فيقتل " **تومي بيرس**" ، ثم يتسلل منصرفًا . وجاءت الآنسة " **وينفليت** " بعد لحظات من غرفة المخزن، وفي يديها مجموعة من الكتب ، وقالت :

– هل شاهدت المتحف يا سيد " **فيتز ويليام** " .. ؟ إن معروضاته ليست بذات قيمة، ولكن اللورد " **هويتفيلد** " وعد بأن يزوده بأشياء أخرى رائعة .

فقال " **لوك** " مجاملاً :

– حقًا .. ؟ هذا فضل منه ..

– إنه ينوي أن يجلب إلى المتحف أشياء عصرية كالتي نشاهدها في المتحف

العلمي في "**لندن**" .

ثم أردفت :

– الواقع أن اللورد " **هويتفيلد** " شديد الاهتمام بالقيام بحملة واسعة في سبيل المصلحة العامة .

وقال " **لوك** " بعد سكتة قصيرة :

– لقد صعدت إلى الطابق العلوي وشاهدت النافذة التي كان " **تومي** " ينظفها عندما وقع .

فقالت الآنسة " **وينفليت** " :

– كانت مأساة رهيبة دون شك .

واستطرد " **لوك** " :

– لقد قابلت أمه .. إنها امرأة خبيثة لا يرتاح إليها المرء .

فقالت :

– إنها لكذلك حقًّا .

– لقد عاملتها بخشونة وصرامة ، وأغلب الظن أنها حسبتني من كبار رجال الشرطة .

وأمسك عن الكلام حين رأى ما طرأ على سحنة الآنسة " **وينفليت** "من تغير.

وسألها :

– ما الذي جرى .. ؟

– ما كان ينبغي أن تكشف عن شخصيتك كشرطي؛ لأن الأخبار تتناقل في هذه القرية بسرعة البرق . وأخشى أن يبلغ القاتل أنك تتحرى عن جرائمه ، وعندئذ ..

وسكتت ، فقال " **لوك** " وهو يتأملها :

– أتعنين أنه عندئذ سيحاول أن يتخلص مني ؟

– بالتأكيد سيحاول أن يقتلك .

– هذه الفكرة لم تدر بخلدي يا آنسة " **وينفليت** " .

وهز " **لوك** " كتفيه في غير اكتراث ، ثم قال :

– لو أنه فعل لكان هذا خيراً ، وبذلك يوفر عليّ مشقة التحري والبحث .

فقالت الآنسة " **وينفليت** " في نبرة من الانفعال تحذره :

– سيد " **فيتز ويليام** " .. أرجو ألا تستهين بهذا القاتل . . إنه داهية ذكي يعرف كيف يحكم خططه .. إنني شديدة القلق عليك .

– فليطمئن بالك يا آنسة " **وينفليت** " ، فإني أعرف كيف أحمي نفسي ، وسوف أكون على حذر .

ثم استطرد :

– لقد ضيقت نطاق البحث وانحصرت شبهاتي في شخصين اثنين ، وأنت تعرفين القاتل تخميناً مما جرى من حديث بينك وبين السيدة " **بنكرتون** " فإذا أنا سألتك عمن تعتقدين أنه القاتل من بين هذين الاثنين ، فكيف يكون جوابك..؟

فحدجته الآنسة " **وينفليت** " بنظرة ثابتة وسألته :

– ومن هما هذان الاثنان .. ؟

فأجاب :

– من القاتل من بين هذين : الدكتور " **توماس** " أم المحامي " **أبوت** " .. ؟

وهتفت الآنسة " **وينفليت** " :

– أوه !

وخبطت صدرها بيدها متأوهة ، وتلاقت عيناها بعيني " **لوك** " بنظرة أثارت حيرته .

وقالت :

– لن أرد على هذا السؤال .

ثم استدارت فجأة وقد صدر عنها صوت غريب ، هو خليط من التنهد ونشيج

البكاء .

وسألها " **لوك** " :

– أراجعة أنت إلى بيتك .. ؟

فأجابت :

– لا ... كنت أنوي أن أذهب بهذه الكتب إلى الآنسة " **هامبلباي** " ، فيمكنك أن تصحبني جزءاً من الطريق في عودتك إلى القصر .

– هذا تلطف منك .. شكراً لك . وانصرفا معًا صامتين . وألقى " **لوك** " نظرة وراءه على المبنى الذي غادره منذ لحظات وقال :

– كان هذا المبنى ملكًا لأسرتك .

فقالت :

– بالتأكيد ... وكنا جميعًا سعداء بالإقامة فيه ، وإني لأحمد الله على أنه لم يهدم شأن غيره من البيوت القديمة ، والفضل في بقائه يرجع إلى اللورد "**هويتفيلد**" الذي اشتراه ليحيله إلى مكتبة ومتحف .

وسلكا في طريقهما إلى القصر طريقًا جانبيًا مختصراً يفضي إلى بوابة خلفية للحديقة .

وحين اقتربا من البوابة الخلفية تناهت إليهما أصوات صاخبة غاضبة . وبعد لحظات رأيا اللورد " **هويتفيلد** " يؤنب في شدة سائق سيارته .

وسمعا اللورد يصيح في غضب :

– إنك مفصول .. نعم .. أنت مفصول .

وسمعا السائق يرد متوسلاً :

– أرجو أن تصفح عني يا سيدي اللورد .

– لا .. مستحيل أن أصفح عنك ... تأخذ سيارتي وتخرج بها .. ثم تقودها وأنت سكران . إنك بالتأكيد لا تستطيع أن تنكر ...

ولم يكن السائق سكران ، ولكنه كان قد احتسى من الشراب ما يكفي لإفلات زمامه وإطلاق لسانه . فجأة تغير مسلكه ، ولم يعد يرجو ويتوسل ، وإنما انطلق يقول :

– ما هذا الذي تقوله أيها الوغد الكهل .. إننا لا نجهل أصلك يا سيدي اللورد العظيم .. إننا جميعًا نعرف أن أباك كان بائع أحذية هنا في هذه القرية الحقيرة... إننا لنضحك ملء أفواهنا ونحن نراك تسير مختالاً كالطاووس .. بحق السماء من أنت .. ؟ أتحسب نفسك ماذا ؟! ..

وتضرج وجه اللورد احمرارا ، وصرخ في سائقه :

– كيف تجسر على أن تحدثني بهذه اللهجة .. ؟

وتقدم السائق خطوة من اللورد ، وقال :

– لو أنك لم تكن كهلاً متهالكًا لسددت إلى فكك لكمة طرحتك أرضًا .

وارتد اللورد خطوة إلى الوراء وقد تملكه الخوف وصرخ في سائقه :

– اخرج من هنا .. اخرج حالاً .

واستعاد السائق رشده فقال في ضراعة :

– إنني آسف يا سيدي .. لست أدري ما دهاني . فتدخل " **لوك** " في الحديث قائلاً :

– لاشك في أنه أفرط في الشراب . وعاد السائق يتوسل ويلح في الرجاء .

– سوف تندم على هذا يا " **ريفرز** " .

واستطرد اللورد وقد انصرف السائق :

– يا لها من وقاحة ! كيف يتحدث إليّ بهذه اللهجة ، لا شك في أن شيئًا خطيراً سوف يحدث لهذا الرجل .. أنقده أجرًا طيبًا ثم يعاملني بهذا الأسلوب .

وكانت الآنسة " **وينفليت** " واقفة منزوية ، ولفرط انفعال اللورد لم ينتبه إلى وجودها ، فلما رآها قال :

– آه ! أنت هنا يا " **هونوريا** " .. يؤسفني أنك رأيت هذا المشهد المشين .

فقالت الآنسة " **وينفليت** " في اقتضاب :

– إنه لم يكن في وعيه يا لورد " **هويتفيلد** " .

– أتدرين ما الذي فعل ؟ لقد صحبتني " **بريدجيت** " في سيارتها إلى " **لاين**"، وحسب الأحمق أنني لن أرجع في الحال ولكنني رجعت ، ووجدت أنه خرج في سيارتي . وليس هذا فقط، وإنما صحب فيها هذه الفتاة الخليعة " **لوسي**" ابنة " **كارتر** " صاحب الحانة .

فعقبت الآنسة " **وينفليت** " :

– عمل شائن .

– بالتأكيد عمل شائن يدل على الضعة والخسة .

واستطردت الآنسة " **وينفليت** " :

– ولكني متأكدة من أنه سيندم على ما فعل .

– سوف أجعله يندم .. لن أغفر له فعلته أبداً .

فقالت الآنسة " **وينفليت** " :

– حسبه جزاء أنك طردته من خدمتك .

وهز اللورد " **هويتفيلد** " رأسه سلباً وقال :

– هذا لا يكفي .. إن هذا الرجل سوف ينتهي نهاية سيئة .. إني واثق بهذا .

وقال اللورد يخاطب " **لوك** " بعد انصراف الآنسة " **وينفليت** " :

– إنها امرأة في غاية الذكاء .

– إنها لكذلك حقًّا .

وفجاة أغرق اللورد " **هويتفيلد** " في الضحك وقال :

– أتعلم أنني كنت خطيبًا لـ " **هونوريا** " على عهد الشباب .. ولكن أباها لم يرض عن زواجنا ، فهي تنحدر من أسرة عريقة ، بينما كنت أنا في ذلك الحين شابًّا

مكافحًا ينتمي إلى أسرة متواضعة .

فتساءل "**لوك**" :

– ولهذا فسخت أسرتها الخطبة .

– لا .. لا .. ليس تمامًا .. الواقع أنه نشب بيني وبينها خلاف أدى إلى القطيعة.. والسبب هو ذلك العصفور اللعين .. عصفور الكناريا .. إنني أكره الآن جميع عصافير الكناريا .. لقد قصفت " **هونوريا** " رقبته ، فلما لمتها على قسوتها، غضبت وتباعدنا منذ تلك اللحظة .

وبعد لحظة همس اللورد " **هويتفيلد** " في صوت خافت كأنما يخاطب نفسه : أغلب الظن أنها لم تغفر لي قطيعتي لها .

فرد " **لوك**" قائلاً :

– بل إنها غفرت وصفحت .. إنها سيدة كريمة القلب متسامحة .

فقال اللورد :

– صدقت .. إنها امرأة عظيمة .

وأردف يقول :

– آه ! ها هي ذي " **بريدجيت** " قادمة .

والتفت " **لوك** " إلى حيث اتجه بصر اللورد فرأى " **بريدجيت** " تبرز من إحدى خمائل الأزهار مقبلة عليهما .

- 16 -

توترت أعصاب " **لوك فيتز ويليام** " وهو يرى " **بريدجيت** " مقبلة عليهما؛ إذ كانا لم يتقابلا منذ ذلك اليوم الذي حدثها فيه عن حبه ، فصدته ونبذته .

قالت تخاطب اللورد :

– أين كنت يا " **جوردون** " ؟

فأجاب :

– كنت في مشادة مع هذا اللعين " **ريفرز** " ... تصوري أنه اغتنم فرصة غيابي عن القصر فبلغ من وقاحته أن خرج في سيارتي "الرولز" يتنزه بها .

وقالت :

– وهذه بالتأكيد إهانة للذات الملكية .. !

– إن الأمر يا " **بريدجيت** " أخطر من أن تجعليه موضعًا للدعابة .. لقد اصطحب فتاة في السيارة .

– لو أنه كان وحده لكان دون شك أقل إهانة . فنفخ اللورد " **هويتفيلد** " صدره وقال في صرامة :

– إنني لا أسمح أبداً بأن ترتكب في ضيعتي أمور منافية للخلق القويم .

فقالت " **بريدجيت** " :

– لا تنسَ أن القمر الليلة قد اكتمل بدراً ، وهي ليلة يحلو فيها للعشاق الغزل والمناجاة .

ثم أردفت تقول :

– إنها الليلة التي اعتاد السحرة أن يعقدوا فيها مؤتمرهم السنوي . ويبدو أن " **الزويرثي** " سيقيم الليلة حفلاً في حديقة السحرة ، فقد نزل اليوم بفندق " **الأجراس** " ثلاثة من أصدقائه : رجلان وامرأة .. يرتدون ثيابًا غريبة مضحكة.

فصرخ اللورد " **هويتفيلد**" :

– إنني لا يمكن أن أسمح بإقامة مثل هذه الحفلات الصاخبة الفوضوية .

فردت عليه " **بريدجيت** " في سخرية :

– هل نسيت يا عزيزي " **جوردون** " أن حديقة السحرة ملك للشعب ولا سلطان لك عليها .

– سأطلب إلى محرر صحيفتي أن يهاجم هذه الحفلات .

فضحكت " **بريدجيت** " وقالت في نبرة لاذعة من التهكم :

- اسمعوا أيها الناس ... اللورد " **هويتفيلد** " العظيم يبدأ حملته ضد الخزعبلات والخرافات البالية .

وتطلع إليها اللورد " **هويتفيلد** " وقد قطب جبينه ، ثم استدار متجها إلى القصر.

قال " **لوك فيتز ويليام** " يخاطب " **بريدجيت** " :

- يجب أن تغيري من سلوكك يا " **بريدجيت** " . إنك تتهكمين على "**هويتفيلد**" وتسخرين منه ، فهل نسيت أن الزواج لم يعقد بعد ، وأن المائة ألف لم تدخل بعد في حوزتك ، لا هي، ولا الجواهر .. يحسن بك أن تلجمي لسانك حتى عقد قرانكما .

وتطلعت إليه " **بريدجيت** " في برود وقالت :

- شكراً لك يا عزيزي على اهتمامك بأمر مستقبلي .

ثم أردفت :

- هل انتهيت إلى نتيجة حاسمة في أبحاثك ؟

- بين بين .. كما يقول رجال السياسة .. وبهذه المناسبة أرجو أن تريني أدوات النجارة التي لديكم؛ فإني في حاجة إلى شيء منها .

ومضت به إلى الدولاب الذي يضم أدوات النجارة ، فاختار بعضها ودسه في جيبه .

وسألته " **بريدجيت** " :

- أتراك تنوي أن تتسلق في جوف الليل إلى أحد البيوت .. ؟

- هو ذاك ... هذا ما أنتويه فعلاً .

فعقبت هازئة :

- إذن فلك مظهر السيد المحترم ، أما خبيئتك فشيء آخر .

فقال :

– إنني في أعقاب قاتل مجنون ، فلا يضيرني أن أتسلل إلى البيوت في جوف الليل .

فرغ الأربعة من تناول العشاء ، ومضت " **بريدجيت** " وعمتها السيدة "**انستروذو**" إلى قاعة الاستقبال ، على حين بقي " **لوك** " في قاعة المائدة ينصت إلى اللورد "**هويتفيلد** " وهو يفيض في الحديث عن نفسه .

وحين صعد " **لوك** " إلى مخدعه استوى على مقعده الوثير يدخن ويفكر حتى إذا انتصف الليل وأيقن أن الجميع لاذوا بأسرتهم وغرقوا في النوم انتعل حذاء التنس ذا النعل المطاط الذي لا وقع له وتسلل من غرفته يسير حذراً وغادر القصر خفية .

اتجه " **لوك** " مسرعًا إلى بيت " **الزويرثي** " ، ووقف على كثب منه يتأمله وهو يرهف السمع .

كان الظلام ضاربًا أطنابه على الدار ، فالبيت لابد أن يكون خاليًا ما دامت الليلة هي موعد الحفل الماجن الذي يقام في حديقة السحرة .

وحشر " **لوك** " تحت نافذة في الطابق الأرضي إحدى أدوات النجارة التي زودته بها " **بريدجيت** " ، وضغط عليها بقوة ، فتحركت النافذة وانفتحت . وتسلل "**لوك** " إلى الداخل ، وعلى ضوء البطارية استطاع أن يجوس خلال البيت ، وأن يفتشه تفتيشًا دقيقًا .

كان أول شيء أثار انتباهه ودعم شكوكه، كلمات مدونة في مفكرة "**الزويرثي**" هذا نصها :

" تسوية موضوع " **تومي بيرس** " " .

وفي صفحة أخرى من نفس المفكرة رسم كروكي لـ " **إيمي جيبس** " وعلى الوجه صليب كبير بالمداد الأحمر .

أما الشيء الثالث الذي عثر عليه " **لوك** " فكان زجاجة بها شراب للسعال أحمر

اللون .

وقال " **لوك** " في نفسه : "هذه دون شك قرائن مثيرة" .

وفجأة سمع " **لوك** " صرير مفتاح يدور في ثقب الباب الخارجي للبيت، وأسرع يختبئ تحت درج السلم .

وانفتح الباب الخارجي واستطاع " **لوك** " أن يرى " **الزويرثي** " وهو يجتاز الردهة، وكان المشهد الذي أخذته عيناه بشعًا يثير الرعب وتنحبس له الأنفاس.

كان منقلب السحنة والزبد يغطي فمه وشفتيه ، ومن عينيه تنبعث نظرة شاردة كأنما يتطلع إلى شيء سحيق، وحين كان يعبر الردهة لم يكن يمشي ، وإنما كان يقفز راقصًا وكادت الصرخة تنطلق من بين شفتي " **لوك** " حين وقع بصره على يدي "**الزويرثي** " . كانت يداه ملطختين بالدماء ، وكان الدم متجمداً .

حين عاد " **لوك** " إلى القصر تناهت إلى سمعه حركة صادرة من خلفه من وسط الشجيرات .

وبرز شبح أسود ملتف بمعطف سابغ ، وغشيت " **لوك** " بادرة مفاجئة من الخوف، ولكنه ما لبث أن تبينه حين دنا منه ، وهتف به :

– " **بريدجيت** " .. ؟ لقد أفزعتني .

فسألته في صوت جاد بادي القلق :

– أين كنت حتى الآن .. ؟ لقد شعرت بك وأنت تغادر القصر ، وأردت أن ألحق بك ، ولكن الظلام حجبك عني فرأيت أن أنتظرك هنا حتى تعود .

وعادت تسأله :

– أين كنت .. ؟

وأجاب :

– لقد أغرت على بيت السيد " **الزويرثي** " .

– وهل اهتديت إلى شيء .. ؟

– أعتقد ذلك . . . ثلاثة أشياء قد يكون لها مغزى .

وروى لها كل شيء عن مغامرته الليلة .

وهمست " **بريدجيت** " :

– هذا رهيب . . دماء متجمدة على يديه . . ترى من قتل الليلة ؟

فقال " **لوك** " :

– هذا هو السؤال الذي يدور بخاطري .

وسارا متجهين إلى القصر .

وفي صوت متهدج النبرات قالت " **بريدجيت** " :

– لقد عدلت عن فكرة الزواج من اللورد " **هويتفيلد** " .

فسألها في دهشة :

– حقًّا . . ؟

وأومأت برأسها إيجابًا وهي تقول :

– نعم .

– وهل ستتزوجينني . . ؟

فأجابت :

– هذا ما قررته .

وحين اقتربا من البوابة تسمرت الفتاة فجأة مكانها :

– " **لوك** " . . . انظر . . . ما هذا . . ؟

وعلى ضوء القمر تبينا الشيء الذي أفزع " **بريدجيت** " .

كانت عند بوابة القصر جثة مكومة على الأرض .

وخلى " **لوك** " ذراعه من ذراع الفتاة ، وأسرع إلى الجثة المسجاة ، ومال فوقها يتأمل وجهها وعرف صاحبها على الفور . . إنه " **ريفرز** " سائق سيارة اللورد .

هتف " **لوك** " :

– إنه السائق " **ريفرز** " ... إنه ميت .

وفحص " **لوك** " الجثة .. كان رأس المسكين يكاد يكون مهشمًا ، وكان إلى جانبه أحد التمثالين الحجريين المركبين على العمودين اللذين يحفان بالبوابة .

وقالت " **بريدجيت** " :

– مسكين " **ريفرز** " .. لقد سقط عليه تمثال الفهد فهشم رأسه ، فقد كان أحد التمثالين مزعزعًا ومخلخلاً وأقل هزة كفيلة بإسقاطه .

فهتف " **لوك** " :

– إنها جريمة قتل مدبرة .. لقد أراد القاتل التضليل فقتله ثم هشم رأسه بالتمثال؛ حتى يوهم من يراه أن التمثال وقع مصادفة فقضى عليه .

فقالت " **بريدجيت** " في نبرة اعتراض :

– ولكن أنى لك أن تعرف هذا ؟

– انظري ما الذي وجدته عالقًا برأسه وكتفيه .. حبات من الرمل ... وهذا معناه أنه ضرب على رأسه بكيس من الرمل ثم هشم القاتل رأسه بالتمثال الذي كان يعلو العمود القائم بجانب البوابة وذلك لتضليل الشرطة ، حتى يقال إن التمثال وقع فوقه فهشم رأسه .

واستطرد " **لوك** " في انفعال :

– كنا نفتقر إلى الدليل الحاسم ، أما الآن فالدليل حاضر ... إن " **الزويرثي** " هو القاتل لا مراء في ذلك .. لقد رأيته والدم متجمد فوق يديه ... وتابع "**لوك**" الحديث قائلاً :

– كانت سحنته منقلبة .. كان له وجه الشيطان ، والزبد يعلو شفتيه ... وكانت يداه ملطختين بالدم ، وكنت أتساءل عمن قتل ، أما الآن فقد عرفت الجواب .. إنه هو الذي قتل " **ريفرز** " .

وهمست " **بريدجيت** " وهي ترتعد :

– مسكين " **ريفرز** " . وضمها " **لوك** " إلى صدره وهو يقول :

– لا تخشي شيئًا بعد الآن يا حبيبتي .. كل شيء قد انتهى الآن .

فقالت وهو يمسح على شعرها في رقة :

– ما دمت بجانبك فلا يخامرني الخوف أبدًا .

- 17 -

تفرس الدكتور " **توماس** " في " **لوك** " وقال :

– بديع .. هل أنت جاد حقيقة يا سيد " **فيتز ويليام** " ؟

– بالتأكيد جاد .. إنني مقتنع تمام الاقتناع بأن "**الزويرثي** "مجنون خطر.

– الواقع أنني لم ألقِ إليه بالاً، وإن كان من الممكن أن أقول إن له شخصية شاذة .

فقال " **لوك** " :

– أما أنا فيمكن أن أقول إنه مجنون تمامًا .

– وهل تعتقد أنه هو الذي قتل السائق ؟

– ألم ترَ حبات الرمل العالقة برأس القتيل ؟ هذا معناه أن هناك من ترصده عند بوابة القصر ، ثم ضربه على رأسه بكيس من الرمل ، فلما أغمي عليه قتله ، ثم هشم رأسه بالتمثال حتى يقال إن التمثال المخلخل هو الذي سقط قضاء وقدراً فوق جمجمته .

وتراجع الدكتور " **توماس** " في مقعده وقال :

– ليس ضروريًا أن يكون الحادث قد وقع على الصورة التي ترسمها ، أقصد أنه من المحتمل أن يكون " **ريفرز** " قد رقد في بقعة رملية ليأخذ حمامًا شمسيًا، وفي قصر اللورد بركة سباحة صناعية حولها شاطئ رملي .

وقال " **لوك** " في نبرة حانقة :

– يبدو أنك لا تصدق حرفًا مما أقول .. ؟

وابتسم الدكتور " **توماس** " في رقة وقال :

– إنك تتهم "**الزويرثي** "بأنه قتل " **إيمي جيبس** " ، و" **تومي بيرس** " ، و"**كارتر** " صاحب الحانة ، والدكتور " **هامبلباي** " ، وأخيراً السائق " **ريفرز** " .. أيمكن أن يكون في هذه الدنيا " قاتل بالجملة " على مثل هذه الصورة ؟

فقال " **لوك** " والسخط ساد في صوته :

– إذن فانت تنكر ما أقول ولا تصدقني ؟

– لو أن الدليل حاضر لديك، لآمنت بكل حرف .

فقال " **لوك** " :

– إنني أعرف أني على صواب ، وغداً سأذهب إلى "**اسكتلانديارد**" وأحدثهم في الأمر .

– هذه في الحق فكرة صائبة يا سيد " **فيتز ويليام** " ، فإن لديهم من الوسائل ما يكشف الحقيقة .

سألته " **بريدجيت** " عما فعل مع " **توماس** " فقال :

– إنه لم يصدقني .. قال إنني أجري وراء ترهات عجوز مخرفة ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك " قتل بالجملة " على مثل هذه الصورة . وأن ما رويته له لا يعدو أن يكون قصة خرافية ينقصها الدليل .

وأردف " **لوك** " :

– إن الدكتور " **توماس** " على حق في هذا ، لأني مازلت مفتقراً إلى الدليل ، ولذلك سأذهب إلى "**اسكتلانديارد**" غداً وأدعوهم إلى القيام بتحقيق شامل .

وقالت " **بريدجيت** " ولمسة من الخوف تشيع في صوتها :

– " **لوك** " .. إنني قلقة بشأنك. إنك تعمل في وضوح، ولا شك في أن القاتل عرف أنك في أعقابه .

فأجاب " **لوك** " :

– إني أتحرى الحذر على قدر الإمكان ، فلا أتوغل في الغابة ولا أخرج ليلاً، فإنني أعرف أنني الآن رجل مطارد . وبعد سكتة قصيرة سألها " **لوك** " :

– ما الذي تنوين بشأن اللورد " **هويتفيلد** " و الخطبة ؟

فأجابت :

– سأكاشفه غداً بأنني فسخت الخطبة ؟ ولا شك في أن الأمر سيضايقه .

فقال " **لوك** " في استغراب :

– قولي إنك ستتسببين له في صدمة شديدة . ولهذا أوثر أن نتريث .

– لا أظن، ومع ذلك سأفضي إليه بالنبأ في رفق .

وفي ذلك المساء جلس " **لوك** " يستمع إلى اللورد " **هويتفيلد** " وهو يتحدث عن نشأته الوضيعة وعن كفاحه حتى استطاع أن يكون صاحب مجموعة من الصحف، وأن يفوز بلقب اللورد . بيد أن " **لوك** " كان يخامره الارتباك وأحس أنه خسيس النفس ، فها هوذا يأكل على مائدة الرجل ، ويقيم في داره، ومع ذلك لا يتورع عن أن يسرق منه خطيبته .

وقال يخاطب " **لوك** " عن مصرع سائقه :

– ألم أقل لك إن نهاية هذا الرجل سوف تكون سيئة ؟

فقال " **لوك** " مؤمنًا :

– إنك قلت هذا فعلاً .

– أرأيت إذن أنني كنت على صواب ؟

وأردف " **هويتفيلد** " وعلى شفتيه ابتسامة عريضة :

– من العجيب أنني دائمًا على صواب في كل ما أتنبأ به .. إني لشديد الإيمان بالقدرة الإلهية ، هذا هو السر في صدق تنبؤاتي .

واستطرد " **هويتفيلد** " :

– إنني رجل تقي متدين ، وأومن بالقصاص الإلهي ، وأن الله يجزي المحسن

ويعاقب المسيء ، فإذا أنت أحسنت إلى الله أحسن الله إليك ، وإذا راعيته رعاك . ولهذا ما أساء إليّ إنسان إلا حقت عليه العدالة الإلهية .

واسترسل " **هويتفيلد** " يقول :

– نعم .. إن من يسيء إليّ لا يمكن أن يفلت من الجزاء .. أتذكر كيف تهجم عليّ " **ريفرز** " .. ؟ والآن أين هو اليوم .. ؟ جثة هامدة ، لقد عاقبه الله جزاء اجترائه عليّ .. لقد حل عليه غضب الله لأنه أساء إليّ ..

ولم يجد "**لوك**" ما يعقب به ، فظل صامتًا يتطلع إلى اللورد " **هويتفيلد** " منصتًا .

ومضى اللورد يتابع الحديث :

– إن العقاب ينزل على الفور بأعدائي .. إن من يعاديني لا يستحق أن يعيش. إنني قديس يا سيد " **فيتز ويليام** " وبركتي تحل على المخلصين ، ولعنتي تنزل بكل من يناصبني العداء .

أرأيت ما أصاب ذلك الصبي " **تومي بيرس** " .. ؟ فاجأته في الحديقة وهو يقلدني بصورة هزلية وخدمي يضجون بالضحك ، ولم تمضِ أيام حتى سقط من فوق حافة النافذة ومات .. ثم هذا الصعلوك " **كارتر** " جاء إلى بيتي هنا وأخذ يسب ويشتم ، فماذا حدث له .. سقط في النهر ومات غريقًا .. إن العدالة الإلهية لا تهمل .. " **وهامبلباي** " .. اختلف معي بشأن مشروع المياه ، ورماني بأقذع الألفاظ فتسمم بدوره ومات .. والسيدة " **هورتون** " .. ؟ لقد كانت تعاملني بصلف وازدراء ، ولهذا لم يمتد بها الأجل طويلاً ، وإنما عاجلها الموت جزاء إهانتها لي ..و " **إيمي جيبس** " .. هي الأخرى ماتت عقابًا لها على ردودها الوقحة عندما أنبتها على عودتها إلى القصر بعد منتصف الليل .

وتذكر "**لوك**" عند هذا ما حدثه به النقيب " **هورتون** " حين قال له إن اللورد "**هويتفيلد** " كان شديد العطف على زوجته في مرضها ، وأنه كان يبعث إليها كل

يوم بعصير الفواكه من حديقته .

وسأل "**لوك**" نفسه : "ترى أكان العصير مسمومًا .. ؟ أيكون هذا هو السبب في النكسة الشديدة التي أصابت السيدة " **هورتون** " فجأة بعد أن تماثلت للشفاء؟" .

واختتم اللورد " **هويتفيلد** " حديثه بقوله :

– أرأيت يا سيد " **فيتز ويليام** " .. كل أعدائي يموتون ... كلهم يموتون..

وفرك كفيه في انفعال وابتهاج ، وأخذ يقول :

– إنني قديس .. نعم .. إنني رجل مبارك ..

- 18 -

أصغى السيد " **ويليام أوسنجتون** " في اهتمام إلى حديث صديقه " **لوك فيتز ويليام** " ، فلما أفضى بما عنده سأله :

– إذن فهذا الرجل مخبول في اعتقادك .. ؟

– هذا لا ريب فيه ، بيد أنه مسؤول عن جرائمه ، ولهذا أرجو أن تبعث بأحد رجالك لكي يتولى التحقيق في الحوادث بصفة رسمية .

فقال مدير إدارة "**اسكتلانديارد**" :

– إني على استعداد لأن أفعل هذا إكرامًا لك .

– شكرًا لك .. ولكني أريد أولاً أن أعرف الظروف التي أحاطت بموت سيدة تدعى السيدة " **بنكرتون** " ، دهمتها إحدى السيارات يوم سباق الـ"**دربي**" ، أمام إدارة "**اسكتلانديارد**" وفرّ سائقها هاربًا .

وبعد أقل من عشر دقائق دخل أحد الضباط يحمل المعلومات المطلوبة . وتصفح السيد " **أوسنجتون** " الملف وقال :

– ماتت المرأة لساعتها وفرّ السائق ، وأصدر وكيل النيابة أمرًا بالقبض عليه، ولا يزال هاربًا .

– وما نوع السيارة .. ؟

– من المؤكد أنها " **رولز رويس** " ، وقائدها يرتدي الزي الرسمي : قبعة ومعطف سائقي السيارات .

– وهل عرفتم رقم السيارة .. ؟

– عرفناه ، فقد استطاعت إحدى السيدات أن تقرأه، ولكنها لم تتقدم إلينا بنفسها ، وإنما ذكرته لسيدة أخرى شهدت الحادث ، ثم انصرفت .

والسيدة الثانية هي التي أدلت إلينا بالرقم ، وأغلب الظن أنها أخطأت ، إذ إنه لم يسفر عن نتيجة .

فتساءل "**لوك**" في دهشة واستغراب :

– وكيف لم يسفر رقم السيارة عن نتيجة ؟

– إن الرقم 4498 هو رقم سيارة الـ"**رولز رويس** "المملوكة للورد " **هويتفيلد** " ، ساعة وقوع الحادث كانت السيارة متروكة أمام مشرب " **بوم** " ، أما السائق فكان داخل المشرب يتناول قدحًا من الشاي ، وقد شهد بذلك جميع سقاة المشرب ، فلابد أن الشاهدة أخطأت .

وهز "**لوك**" رأسه وهمس :

– مفهوم .

واستطرد "**لوك**" :

– أرجو أن تعيرني سمعك يا سيد " **أوسنجتون** " .. هذه المرأة السيدة "**بنكرتون** " كانت تعرف شخصية القاتل ، ويوم سباق الـ"**دربي**" حضرت إلى "**لندن**" ؛ لتفضي إلى "**اسكتلانديارد**" بشكوكها ، وبطريقة ما عرف القاتل بنيتها، ودهمها بسيارته وهي تعبر الطريق .. وأدلت إحدى السيدات برقم السيارة وعرف أنها ملك للورد كبير الشأن ذي شخصية مرموقة فاستبعد البوليس أن تكون هذه السيارة، هي التي دهمت المرأة وآثر أن يقول: الشاهدة هي التي أخطأت .

– ما الذي تريد أن تقوله يا عزيزي "**لوك**" .. ؟

– أريد أن أقول إن اللورد " **هويتفيلد** " هو القاتل .

وهبَّ السيد " **أوسنجتون** " واقفًا وهو يهتف :

– ما هذا التخريف يا عزيزي ؟

– لأنه رجل عظيم ؟ . ولكن ألم يحدث قط أن نفرًا من العظماء ارتكبوا جرائم القتل .. ؟ لقد ترك اللورد سائقه يتناول الشاي في المشرب ، وركب السيارة ، وتخفى بارتداء قبعة سائق ومعطف سائق . وبعد أن قتل المرأة التي كشفت سره، أعاد السيارة مكانها .

– هذا مستحيل .. !

– لا يمكن أن يكون مستحيلاً إذا عرفت يا عزيزي أن اللورد كان يتفاخر الليلة الماضية بجرائمه .

– إذن فهو مجنون ؟

– بل قل إنه مهووس ! إنه يعتقد أنه قديس ... وفي حديثه معي بالأمس ذكر أن كل من يناصبه العداء لابد أن يموت ، وأشار إلى أسماء ضحاياه قائلاً إنهم جميعًا أهانوه فلم تمضِ أيام حتى ماتوا .

وروى "**لوك**" لمدير "**اسكتلانديارد**" تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين اللورد "**هويتفيلد** " وقال له السيد " **أوسنجتون** " :

– عد الآن إلى القرية ، وراقب بعين يقظة كل ما يجري حولك ريثما أعد خطتي للإيقاع بالقاتل .

وفي صباح اليوم التالي رجع " **لوك فيتز ويليام** " إلى قرية " **آش** " وذهب إلى بيت الآنسة"**وينفليت**" ، وقادته الوصيفة إلى قاعة الطعام حيث كانت ربة الدار تتناول فطورها .

واعتذر عن حضوره في مثل تلك الساعة وقال :

– الواقع أن لدي سؤالا مهماً قد يؤدي إلى إماطة اللثام عن شخصية القاتل. إنه سؤال شخصي محض، فعسى أن تغفري لي فضولي .

فردت الآنسة" **وينفليت**" في رقة وعلى شفتيها ابتسامة مشجعة :

– سل ما شئت إذ يسعدني أن أعاونك في الإيقاع بهذا السفاح .

– شكرا لك يا آنسة "**وينفليت**" .. والآن هل يمكن أن أعرف السبب في فسخ خطبتك للورد " **هويتفيلد** " .. ؟

وتضرج وجه المرأة احمراراً .

فسألته :

– ألم يفضِ إليك " **جوردون** " بالسبب ؟

– كان كل ما قاله إن فسخ الخطبة نشأ بسبب طائر كناريا دق عنقه .

فقالت :

– إذن فقد اعترف .. هذا غريب !

– هل لك أن تدلي إليّ بالتفاصيل كاملة .

– إليك القصة إذن .. ولكن أرجو الا تشير إليها مع " **جوردون** " فليس ثمة ما يدعو إلى نبش الماضي .

ووعدها "**لوك**" بالكتمان فانشأت الآنسة " **وينفليت** " تقول :

– كان لدي عصفور كناريا أولعت به ولعًا شديداً وفي أحد الأيام قال"**جوردون**" والضيق آخذ به : اعتقد انك تحبين هذا العصفور أكثر مني .. وكنت ، إذ ذاك فتاة غريرة فرددت عليه بعبارة معناها أنني فعلاً أحب هذا الكناريا أكثر مما أحبه هو .. فجأة انقض " **جوردون** " على العصفور وانتزعه من يدي ، وقصف رقبته .

واستطردت تقول :

– عندئذ استولى عليّ رعب شديد، فالرجل الغيور إلى هذا الحد لا يمكن الاطمئنان إلى سلوكه، ولهذا لم أتردد في فسخ الخطبة .

والقت الآنسة " وينفليت" بيدها على ذراع "**لوك**" ، وتعلقت نظراتها المستفسرة بعينيه ، وهمست تقول :

– السيد " **فيتز ويليام** " .. هل لك أن تكاشفني بالحقيقة ؟ من يكون القاتل ؟

أجاب :

– اللورد " **هويتفيلد** " هو الذي اقترف كل هذه الجرائم .. وأنت كنت تعرفين هذا منذ البداية .

وأجابت الآنسة "**وينفليت**" والكلمات ترتعد على شفتيها :

– لا .. لم أكن أعرف . ولو أنني عرفت لما كتمت الأمر عنك ، ولكني كنت خائفة .. مرتابة .

وعادت الآنسة "**وينفليت**" تقول :

– إني سعيدة بأن فسخت الآنسة "**بريدجيت**" خطبتها له ، فقد تناهى إليّ أنها قررت أن تتزوجك بدلاً من " **جوردون** " ، أليس كذلك .. ؟

فأجاب :

– بلى .

– ولكن ينبغي أن تكونا أنتما الاثنان على حذر ، فاللورد " **هويتفيلد** " لن يتورع عن قتلكما . ولعل من الأفضل أن تكتما عنه الأمر حتى ترحلا عن القرية .

فقال "**لوك**" :

– أصبت وسآخذ بمشورتك .

– نعم .. خذها بعيداً قبل أن يفوت الأوان .

- 19 -

سمعت " **بريدجيت كونواي** " دوي سيارة "**لوك**" وهو راجع إلى القصر ، فخرجت تستقبله عند الدرج وابتدرته بقولها :

– لقد قلت لـ " **جوردون** " إني فسخت الخطبة .

وبهت "**لوك**" جزعًا وهتف يقول :

– يا إلهي ... ! بالله عليك لِمَ فعلت هذا ؟ إننا اتفقنا على أن نرجئ إبلاغه فسخ الخطبة .

– هذا صحيح ولكنني حين وجدته يتحدث إليّ عن ترتيب حفل الزفاف شعرت بالخسة وأنا أكتم عنه أنني فسخت الخطبة .

– وكيف تلقى " **هويتفيلد** " النبأ .. ؟ هل ثار واهتاج ؟

– بل تلقاه بهدوء شديد ، وقدم إليّ أطيب التهنئة في حرارة حتى لقد شعرت بالخزي والخجل .

وأردفت "**بريدجيت**" :

– إنه في الحق رجل عظيم .

ولم يشأ "**لوك**" أن يصارحها بأن " **هويتفيلد** " هو ذلك القاتل السفاح ، وإنما اكتفى بأن قال :

– اسمعي يا "بريدجيت" .. يجب أن تغادري القصر في أسرع وقت ممكن .

فقالت :

– هذا مؤكد .. سأغادر القصر اليوم ، ويمكننا أن ننزل معًا في فندق "**الأجراس**" .

– بل يجب أن ترجعي اليوم إلى "**لندن**" .

– وما الذي يدعونا إلى هذه العجلة ؟

– سأصارحك بالأسباب فيما بعد ، فاذهبي الآن لحزم أمتعتك .

فقالت :

– سأكون جاهزة في خلال عشر دقائق على الأكثر.

ومضى "**لوك**" إلى غرفته ، فدس ثيابه في حقيبته ، ورجع إلى "**بريدجيت**"

فوجدها في انتظاره . وفيما كانا يهبطان الدرج جاء إليهما الوصيف ينبئهما بأن الآنسة" **وينفليت**" في قاعة الاستقبال وأنها ترغب في مقابلة الآنسة "**بريدجيت**" ... ومضت "**بريدجيت**" إلى قاعة الاستقبال و"**لوك** " في أعقابها .

وكان اللورد " **هويتفيلد** " يتحدث إلى الآنسة "**وينفليت**" ، وفي يده خنجر ذو نصل طويل ، وهو يقول :

– إنه صناعة فنية ممتازة وبه نقوش شرقية غاية في الجمال ... إنه مصنوع في "**مراكش**" ، وقد أهداه إليّ أحد أصدقائي ممن زاروا الشرق .

ومرَّ " **هويتفيلد** " بأصبعه على النصل ، وقال :

– إنه نصل حاد قاطع .

وهتفت به الآنسة"**وينفليت**" في ارتياع :

– بالله عليك يا " **جوردون** " هلاَّ تركت هذا الخنجر .. !

وابتسم " **هويتفيلد**" ورد الخنجر إلى مكانه بين شتى الأسلحة الموضوعة على المنضدة وهو يقول :

– إنني أحب ملمس الخنجر .

– إن لك يا " **جوردون** " نزعات وحشية مرعبة .

والتفتت الآنسة"**وينفليت**" إلى "**بريدجيت**" ترحب بها ، فقال اللورد :

– استمتعي الآن يا " **هونوريا** " بصحبة "**بريدجيت**" ، فإنها لن تبقى معنا طويلاً .

فتساءلت الآنسة"**وينفليت**" في صوت حاد النبرات :

– بالله ماذا تعني ؟ !

فأجاب :

– إن "**بريدجيت**" لن تتزوجني يا " **هونوريا** " .. قد آثرت عليّ " **فيتز ويليام**" ..... ألا ما أغرب الدنيا !

وعند هذه الكلمات استدار من فوره وغادر القاعة .

وقالت الآنسة "**وينفليت**" في نبرة تفيض يأسًا :

– رباه .. ! إنه غاضب .. غاضب بشكل مخيف .. ! إني خائفة .. ! والآن ما العمل ؟

فحملقت إليها "**بريدجيت**" وتساءلت :

– ماذا تعنين . ؟

– ما كان ينبغي أبدًا أن تخبراه بفسخ الخطبة .

فهزت "**بريدجيت**" كتفيها في غير احتفال وقالت :

– من الأفضل دائمًا أن يواجه المرء – بأسرع ما يمكن – المواقف المزعجة ، ثم يطرحها جانبًا وينساها .

– هذا إذا اقتصر الأمر على أنها مجرد مواقف مزعجة، أما في حالتك فلهذا الموقف عواقب وخيمة .

وهزت "**بريدجيت**" كتفيها في غير اكتراث وقالت :

– فليكن ... لست أبالي بما سوف يحدث .

وتطلعت الآنسة "**وينفليت**" إلى "**لوك**" مستفسرة فرد في صوت خافت :

– لا .. لم أخبرها .

فتساءلت "**بريدجيت**" :

– بأي شيء تخبرني .. ؟

وبعد سكتة قصيرة قالت الآنسة "**وينفليت**" :

– الواقع أنني جئت أدعوك إلى الإقامة في بيتي ؛ إذ شعرت بأن الإقامة هنا في القصر لن تطيب لك بعد فسخ الخطبة .

– شكرًا لك على هذه الرعاية ، ولكنني سأقيم في بيت عمتي في "**لندن**" ، وسأترك لها هنا رسالة أخطرها بذلك ، فقد خرجت اليوم لمشاهدة معرض للأزهار .

فقالت الآنسة "**وينفليت**" معترضة :

– إذن ستبيتين وحدك في بيت عمتك .. ؟ إني أوثر أن تبيتي عندي ، ففي بيتي ستكونين آمنة .

فقالت "**بريدجيت**" في دهشة :

– آمنة .. ؟! ماذا تعنين ؟

فأجابت :

– أردت أن أقول مرتاحة .

وانبرى "**لوك**" يقول :

– إني أوثر أن تبيتي في أحد الفنادق وليس في بيت عمتك .

فتطلعت إليه "**بريدجيت**" مستفسرة ، وتساءلت :

– ما هذا ؟ إنكما تعاملانني كأنني طفلة غريرة .. ما سر هذه المعاملة ؟ أريد أن أعرف .

فقال "**لوك**" :

– سأحدثك بكل شيء يا عزيزتي ، ولكن ليس هنا في هذا القصر .. هيا بنا الآن إلى بيت الآنسة "**وينفليت**" ، وهنالك أفضي إليك بكل ما أعرف .

وغادر الثلاثة القصر معًا ، واستقلوا سيارة "**لوك**" .

وفيما كانت السيارة منطلقة إلى بيت الآنسة"**وينفليت**" راح "**لوك**" يقول :

– حمداً لله على أن أخرجتك من القصر سالمة .

فاستدارت إليه "**بريدجيت**" ، وقالت في استغراب :

– سالمة ؟! ماذا تعني يا "**لوك**" ؟

و أجابها "**لوك**" في صوت ينم على الحيرة :

– الواقع يا "**بريدجيت**" أن من أشق الأمور على النفس أن يقول المرء لفتاة كانت تنوي أن تتزوج رجلاً معينًا، إن هذا الرجل مجنون وقاتل .

- 20 -

تسمرت "**بريدجيت**" في مقعدها كان عضلاتها قد تجمدت وفقدت القدرة على الحركة .. وبعد لحظات تمالكت فيها نفسها من هول المفاجأة أخذت تقول:

– أتريد أن تقول إن " **جوردون** " قاتل ؟ هذا مستحيل ! هذا هراء !

فقال "**لوك**" :

– نعم .. إنه قاتل مجنون .

فقالت "**بريدجيت**" في إصرار :

– " **جوردون** " لا يستطيع أن يؤذي فراشة .

– إني موقن انه قتل عدداً كبيراً من الناس آخرهم " **ريفرز** " .

وهزت "**بريدجيت**" رأسها سلباً وقالت بإصرار :

– عزيزي "**لوك**" .. إنني لا أصدق حرفًا مما تقول .

– وأنا نفسي لم أكن أصدق هذا .

– ولكنك منذ يومين أخبرتني أن "**الزويرثي**" هو القاتل .

– كنت مخطئًا . أما الآن فلدي الدليل القاطع على أن " **هويتفيلد** " هو القاتل.. لقد اعترف لي هو نفسه بما يقطع أنه القاتل . قال لي إن كل من يسيء إليه لابد أن ينزل به العقاب الإلهي . وقال لي أيضًا إنه قديس ، ثم سرد عليّ أسماء الذين ماتوا في القرية ، وقال إنهم ماتوا عقابًا لهم على أنهم آذوه وأساءوا إليه. ثم إنه هو الذي دهم السيدة " **بنكرتون** " بسيارته في "**لندن**" فقتلها.. لقد ذكرت إحدى السيدات للشرطة رقم السيارة ، وتبين أنه رقم سيارة اللورد " **هويتفيلد** " ، ولكن البوليس استبعد الأمر واعتقد أن الشاهدة أخطأت في الرقم ويجب أن أضيف أن الجنون متأصل في " **هويتفيلد** " منذ الصبا؛ فعندما خطب الآنسة"**وينفليت**" في شبابه كان لديها عصفور كناريا وكانت مولعة به ، فما كان

من "**هويتفيلد** " إلا ان قصف رأس العصفور غيرة منه .

– افـعل هذا حـقًّـا .. ؟ ياله من وحش ! ولكن مـا الدافع لقـتل هؤلاء الناس جميعًا.. ؟

– كلها دوافع تافهة ... مجرد كلمة نابية .. أو خلاف في الرأي .. ولا شيء أكثر من هذا .

– والآن ماذا تنوي أن تفعل ؟

– لا ادري بعد ، فإني مازلت مفتقرًا إلى الدليل .

وهتفت "**بريدجيت**" في حماس وانفعال :

– إن لدي فكرة ... إنني أستطيع ان أساعدك في الحصول على الدليل القاطع .

فصرخ فيها "**لوك**" :

– مستحيل ان أسمح لك بهذا إنه لن يتورع عن قتلك .

– اتريد مني أن انزوي منكمشة ، واترك هذا السفاح يغتال الناس .

فرد "**لوك**" معترضًا بقوله :

– "**بريدجيت**" .. يجب الا تزجي بنفسك في هذا. سافري حالا إلى "**لندن**" .

– بل سابقى .. فسألبي دعوة الآنسة"**وينفليت**" وسأقدم الدليل القاطع الذي يدين هذا السفاح المجنون .

وتكلمت الآنسة"**وينفليت**" قائلة :

– مرحبًا بك في بيتي يا "**بريدجيت**" .

فقالت "**بريدجيت**" :

– ولكنك قد تستهدفين للخطر مثلي .

وكان رد الآنسة"**وينفليت**" أن قالت في حماس وانفعال :

– أعلم ذلك ، ولكننا يجب أن نتضامن معًا في الإيقاع بهذا السفاح .. نعم .. يجب أن نقف معًا .. جنبًا إلى جنب في مكافحة الجريمة و الإجرام .

- 21 -

توقفت السيارة أمام بيت الآنسة "**وينفليت**" ومضت ربة الدار بضيفتها إلى قاعة الاستقبال .

وقال "**لوك**" :

– الآن .. أستطيع أن أتركك في رعاية الآنسة "**وينفليت**" أما أنا فسأقيم في فندق "**الأجراس**" .

وعقبت الآنسة "**وينفليت**" على ذلك بقولها :

– إن " **جوردون** " لن يجسر على أن يمسها بسوء وهي في رعايتي .

فقال "**لوك**" :

– إن أمره لن يطول على أية حال ، فسيصل اليوم المفتش " **باتل** " من "**اسكتلانديارد**" ليتولى التحقيق .

واستطرد "**لوك**" قائلاً :

– إني ذاهب إلى قصر اللورد " **هويتفيلد** " لأحضر الحقائب . وسوف أتصل بك تليفونيًا من فندق " **الأجراس**" عندما أذهب إليه بالحقائب .

وطبع قبلة على وجنتيها ، وشيعته "**بريدجيت**" إلى باب الدار حيث انطلق في سيارته إلى قصر اللورد " **هويتفيلد** " .

قالت الآنسة"**وينفليت**" تخاطب "**بريدجيت**" :

– لن تمضي دقائق يا عزيزتي حتى تكون " **إميلي** " قد فرغت من إعداد غرفتك.

ثم أردفت :

– لا شك في أنك مرهقة الأعصاب . وسآتيك بقدح من الشاي يرد إليك نشاطك وحيويتك .

– شكرًا لك يا آنسة"**وينفليت**" ... إنني لا أريد شيئًا على الإطلاق .

ولكنها في الواقع كانت في حاجة إلى قدح من الشراب، فضلاً عن أنها كانت

تمقت الشاي لما يسببه لها من عسر في الهضم .

وغادرت الآنسة "**وينفليت**" الغرفة ، وعادت بعد بضع دقائق تحمل صينية عليها قدحان يتصاعد منهما البخار ، وتفوح منهما رائحة الشاي المعطر .

وقدمت أحد القدحين إلى "**بريدجيت**" وهي تقول :

– إنه شاي صيني من أجود الأنواع .

أما "**بريدجيت**" فكانت تكره الشاي عمومًا والصيني على وجه الخصوص، ولكنها كانت مضطرة إلى احتسائه؛ إكراما لربة الدار. ولكن أنقذها من هذه المجاملة الممقوتة أن دخلت الوصيفة "**إميلي**" تقول:

– لقد أعددت غرفة الضيوف يا سيدتي، ولكن لاتزال تنقصها وسادتان.

ونهضت الآنسة "**وينفليت**" وهي تقول:

– سآتيك بهما حالا.

واغتنمت "**بريدجيت**" فرصة خروج الآنسة "**وينفليت**" من الغرفة، فبادرت إلى النافذة بقدح الشاي، وأفرغت محتوياته في الحديقة، ثم ارتدت إلى مقعدها مسرعة.

وعندما عادت الآنسة "**وينفليت**" إلى الغرفة بعد بضع دقائق، قالت "**بريدجيت**" تحدثها:

– لقد طال غياب "**لوك**". أليس كذلك؟

– لا داعي للقلق يا عزيزتي.. إنه لن يلبث أن يتصل بك تليفونيًّا.

وفعلا لم تمضِ لحظات حتى رن جرس التليفون. فركضت إليه "**بريدجيت**" في لهفة.

وكان "**لوك**" هو المتحدث.. قال:

– إنني الآن في فندق "**الأجراس**"، وحقائبك معي، ولكنني لن أستطيع أن آتيك بها إلا بعد الغداء، فقد وصل المفتش "**باتل**" وهو يريد أن يتحدث إليّ.

فقالت:

– لا بأس.. إنني لست الآن في حاجة ملحة إليها.

– إذن إلى اللقاء يا حبيبتي.

وروت "**بريدجيت**" للآنسة "**وينفليت**" فحوى الحديث الذي دار بينها وبين "**لوك**". وكانت "**بريدجيت**" في الواقع مشدودة الأعصاب، فما إن استوت على مقعدها الوثير حتى تثاءبت. وقالت لها الآنسة "**وينفليت**" وقد لاحظت ذلك:

– إنك متعبة يا عزيزتي..! يحسن بك أن ترقدي قليلا وتستريحي... ولكن لا.. لا ترقدي، فالنوم قبل تناول الغداء يفسد الهضم..! إنني خارجة الآن لأقدم شيئًا من الثياب القديمة إلى عجوز فقيرة تسكن كوخًا في الغابة، فهلا صحبتني لنتمشى معًا، فهذا كفيل بأن ينعشك ويريح أعصابك.

وأدهش "**بريدجيت**" أن رأتها تلبس قفازًا، فالقفاز لا يلبس في الصيف. ووافقت "**بريدجيت**" وخرجتا من الباب الخلفي.

وكانت الآنسة "**وينفليت**" تضع على رأسها قبعة من القش.

واخترقتا بعض الحقول، حتى انتهيتا إلى طريق ضيق غير ممهد، تكسوه الحجارة والحصى، فسارتا فيه متجهتين إلى مدخل الغابة.

كانت الشمس تتوسط كبد السماء. وأشعتها تلهب الأرض بسعيرها، وكانت "**بريدجيت**" متعبة مكدودة تنتزع قدميها من الأرض في صعوبة.

ولاحظت الآنسة "**وينفليت**" ما اعترى صاحبتها من كد ونصب فقالت لها وقد بلغتا من الغابة رقعة ظليلة:

– الا نجلس هنا قليلا حتى تصيبي شيئًا من الراحة؟

– شكرًا لك، فالحق أني متعبة.

وافترشتا الأرض، وأسندت "**بريدجيت**" ظهرها إلى شجرة وارفة الظلال،

وأطبقت عينيها لتتقي وهج الشمس.

وبعد سكتة قصيرة قالت الآنسة "**وينفليت**" في صوت خافت:

– أعتقد أن السماء سوف تمطر الليلة.

فأجابت "**بريدجيت**" في صوت يغالبه النعاس:

– أعتقد ذلك.. نعم.. ستمطر الليلة.

وتثاءبت في كسل وهي تغالب النعاس.

وبعد لحظات عادت الآنسة "**وينفليت**" تقول:

– إنك متعبة يا عزيزتي.. متعبة جداً.. إنك بالتأكيد تريدين أن تنامي... نامي إذا شئت.

وما إن نطقت الآنسة "**وينفليت**" بهذه الكلمات حتى انتبهت "**بريدجيت**" من غفوتها الطارئة. كان في صوت الآنسة "**وينفليت**" نبرة شاذة غريبة.. كان صوتها وهي تنطق بهذه الكلمات أشبه بصوت المنوم المغناطيسي حين يحاول تنويم الوسيط.

وأدهش الصوت "**بريدجيت**" ففتحت عينيها. ورأت الآنسة "**وينفليت**" مائلة بجسدها إلى ناحيتها، وفي عينيها نظرة حافلة باللهفة، وهي تلعق شفتيها بلسانها شأن الوحش عندما يهم بالتهام فريسته.

وعادت الآنسة "**وينفليت**" تردد نفس الكلمات بنفس النبرات.

– نعم.. إنك متعبة جداً.. إنك نعسانة جداً... إنك تريدين أن تنامي.

وفي هذه المرة استشفت "**بريدجيت**" المغزى الحقيقي لهذه النبرات، وبرق في ذهنها وميض من الفهم. لقد ارتابت يوماً في الآنسة "**وينفليت**"، وخامرتها الوساوس، ولكنها لم تكن متيقنة. أما الآن.. وأمام هذه النبرات، فقد أصبحت على يقين.

وفجأة تذكرت الشاي الذي قدمته لها الآنسة "**وينفليت**" لقد قالت لمضيفتها

إنهـا لا تـريد أن تتناول شـايًا، ولكـن الآنسـة "**وينفليت**" أصـرت وتشـبـثت وجاءتهـا بالشـاي. فـمـا يدريهـا أنهـا مزجت بـه شيئًا، ولكن ترى مـا عسى أن يكون هذا الشيء الذي وضعـتـه في الشـاي..؟ أيكون سـمًّـا زعـافا قـاتلا.. أم عقارًا منومًا؟

ولكن الآنسة "**وينفليت**" لا تعلم أن "**بريدجيت**" لم تشرب الشاي، فعليها إذن أن تتظاهر بأن العقار المنوم بدأ يؤتي مفعوله، وأن النوم أخذ يغالبها.

نعم.. فلتفعل ذلك لترى ما سوف يكون من أمر الآنسـة "**وينفليت**" وقالت "**بريدجيت**" لنفسـهـا: "إنني أوفر منها قوة، لابد أن أتغلب عليها بسهـولة إن حاولت قتلي". ولكن "**بريدجيت**" فاتها شيء لم تعمل له حسابًا!

– تظاهرت "**بريدجيت**" بأن النوم يغالبها فهمست في صوت متراخ يدب فيه النعاس، وفي كلمات متقطعة وهي تتطلع إلى "**وينفليت**" بعينين نصف مطبقتين:

– نعم.. إنني ناعسة.. ناعسة جدًّا..!

وأومأت الآنسة "**وينفليت**" برأسها إيجابًا..

ومضت "**بريدجيت**" ترقب المرأة العجوز بنظرة مختلسة من عينين تكادان تنطبقان. وعادت "**بريدجيت**" تردد لنفسهـا: "إنني بالتأكيد ندٌّلها.. بل أنا أقوى منها بكثير.. إنني شابة فتية وعضلاتي قوية، ومن المستحيل أن تتغلب عليَّ هذه العجوز الهزيلة. ولكن يجب أن أغريها بأن تتحدث عن نفسهـا متفاخرة".

كانت الآنسة "**وينفليت**" تبتسم ولكنها كانت أشبه بالفهد وهو يكشر عن أنيابه قبل أن ينقض على فريسته ليمزقها.

وقالت "**بريدجيت**" لنفسها، وهي تتأمل هذه الابتسامة الشيطانية:

"إنها شيطان في صورة امرأة..! لقد كنت أعرف أنها هي القاتلة.. إنها امرأة نبذها خطيبها اللورد "**هويتفيلد**". فامتهن بذلك كرامتها، وأهان كبرياءها..

وليس هناك أخطر من امرأة منبوذة مست كرامتها..! إنها تنقلب وحشا لا يبغي إلا الثأر والانتقام... وهي بالتأكيد تريد أن تثأر من "**جوردون**" فتقترف كل هذه الجرائم وتحاول أن تنسبها إليه..!"

بهذا أخذت "**بريدجيت**" تحدث نفسها، وهي تنظر إلى الآنسة "**وينفليت**" من تحت جفنيها المتراخيين.

وعادت "**بريدجيت**" تخاطب الآنسة "**وينفليت**" بنفس الصوت الناعس المتراخي كأنما آتى المنوم أثره:

– ما الذي دهاني..؟ إني أشعر بنعاس شديد... أشعر كأن قوتي بدأت تخور وتتلاشى.

ورأت الآنسة "**وينفليت**" تدير البصر فيما حولها.

كان المكان خاليًا من الناس، فقد توغلت المرأتان في الغابة إلى مسافة بعيدة. ومدت الآنسة "**وينفليت**" يدها، وفضت اللفافة التي جاءت بها معها.. اللفافة التي قالت إن فيها ثيابًا قديمة ستقدمها إلى امرأة عجوز فقيرة تقيم في كوخ في الغابة.

وكانت الآنسة "**وينفليت**" صادقة فيما ذكرته، فقد كانت اللفافة تضم حقيقة بعض الملابس القديمة.ولكن وسط الثياب كان هناك خنجر مخبأ...

وتناولت الآنسة "**وينفليت**" الخنجر، وقلبته في يدها، وفي عينيها نظرة رضاء وحشية. وعرفت "**بريدجيت**" الخنجر على الفور.

إنه الخنجر المراكشي الصنع نفسه الذي كان اللورد "**هويتفيلد**" يعرضه أمام الآنسة "**وينفليت**" صباح اليوم.وأدركت "**بريدجيت**" على الفور السر الذي جعل الآنسة "**وينفليت**" تلبس قفازًا في هذا اليوم القائظ الشديد الحرارة.

إن بصمات اللورد "**هويتفيلد**" مطبوعة على مقبض الخنجر. ولهذا لبست الآنسة "**وينفليت**" القفاز؛ حتى لا تظهر بصماتها على المقبض، وتظل

بصمات "**هويتفيلد**" وحدها هي المطبوعة عليه، بذلك توجه إليه تهمة قتل "**بريدجيت**" .

قالت "**بريدجيت**" لنفسها: « يجب أن أستدرجها إلى الكلام.. يجب أن أجعلها تعترف بكل جرائمها » .

وهمست "**بريدجيت**" متظاهرة بانها لا تقوى على الكلام بتأثير العقار المنوم:

– ما هذا الذي في يدك..؟ إنه خنجر.. اليس كذلك؟

وعندئذ ضحكت الآنسة "**وينفليت**" . وكانت ضحكة رهيبة...ضحكة غير بشرية.. ضحكة شيطانية. وقالت في صوت كفحيح الأفعى:

– وهذا الخنجر لك يا "**بريدجيت**"..! لقد جئت به معي لكي اقتلك! إني ابغضك من كل قلبي..!

فقالت لها "**بريدجيت**" متسائلة وعيناها شبه مغمضتين:

– أتبغضينني لأنني سأتزوج اللورد "**هويتفيلد**" ؟

– أبغضك؛ لأنه نبذني وآثر الآن ان يتزوجك.. وهذا الخنجر هو الدليل القاطع على أنه هو الذي قتلك.. لقد طلبت إليه صباح اليوم أن يريني الخنجر المراكشي ففعل، وانطبعت على مقبضه بصمات أصابعه، وسوف يكون مصيره إما الإعدام شنقًا، أو زجه في أحد مستشفيات الأمراض العقلية.

كانت الآنسة "**وينفليت**" تنظر إلى "**بريدجيت**" بعينين تقدحان شررًا، في حين كانت "**بريدجيت**" ترقبها بعينين نصف مغمضتين متظاهرة بأن المنوم قد أنتج أثره. واستطردت المرأة تقول في ثورة وهياج:

– ولقد أحببته، ولكنه نبذني وطردني..! أيطرد ابنة الكولونيل "**وينفليت**" وهو لا يعدو أن يكون شابًا وضيعًا أبوه بائع أحذية.. لكنني همت به غرامًا. أحسست بأنه شاب طموح، وتوقعت له مستقبلا زاهرًا... وها قد تحقق ما توقعت.

وتقلصت أصابع الآنسة "**وينفليت**" وهي تتكلم، وانقلبت سحنتها ومضت تقول:

- وأمضيت الليل والنهار والأعوام بعد الأعوام... أفكر في الوسيلة التي أثأر بها لنفسي من أجل كبريائي وكرامتي. وأخيراً استقر رأيي على أن أرتكب بعض جرائم القتل... أقتل أناساً لا شأن لي بهم ولا دافع يحملني على قتلهم. حتى لا تتجه الشبهات نحوي. وفي الوقت نفسه أختار ضحاياي ممن وقع خلاف أو عداء بينهم وبين "**جوردون**". وبذلك تتجه إليه الشبهات بمرور الوقت، ويعتقد الناس أنه هو الذي يقتل أعداءه.

وانكببت على كتب الجريمة أدرسها بعناية، ومنها تعلمت كيف أفتح الباب الموصد بالمفتاح من الداخل، وذلك باستعمال كماشة رفيعة جداً أنفذها في ثقب القفل، وأدير بها عقب المفتاح، فيفتح.. وهذا ما فعلته مع "**إيمي جيبس**".. فتحت الباب بهذه الطريقة، ووضعت لها زجاجة طلاء القبعات، وتسللت خارجة من الغرفة، وباستخدام الكماشة كما قلت أمكنني أن أعيدها مغلقة بالمفتاح كما كانت.

وأرادت "**بريدجيت**" أن تستدرجها إلى الاعتراف بجرائمها فقالت تثني عليها:

- يا لها من فكرة رائعة! الحق انك على غاية من الذكاء يا آنسة "**وينفليت**".

- بالتأكيد إنني غاية في الذكاء.. وقد اخترت "**إيمي**"؛ لأن "**جوردون**" غضب عليها وطردها من بيته، وبذلك يتوافر لديه دافع لقتلها.

- و"**ليديا هورتون**".. هل أنت التي قتلتها أيضاً؟

- بالتأكيد أنا التي قتلتها.. لقد حدث حوار بينها وبين اللورد "**هويتفيلد**"، ووجهت إليه "**ليديا**" كلمات قاسية، فغضب وثار.. ولكن "**جوردون**" كريم القلب فما إن مرضت السيدة "**هورتون**" حتى أخذ يبعث إليها بشتى الفواكه

أو عصيرها من حديقته، ومضيت أنا أزورها كل يوم لأطمئن عليها، ولكني كنت أدس لها "الزرنيخ" في العصير وفي الدواء على غفلة منها.. وكنت أردد أمام الممرضات أن السيدة **"هورتون"** تشكو مرارة في العصير، وأنها تعتقد أنه مسموم. وكنت أريد بهذا أن تردد الممرضات هذه الكلمات أمام الآخرين، فإذا ماتت السيدة **"هورتون"** متسممة، ذكر الناس ما كانت تردده الممرضات عن مرارة العصير.

– والآخرون..؟ كيف قتلتهم؟

– كان **"كارتر"** يعبر القنطرة عند منتصف الليل، وهو ثمل سكران، فتعقبته خلسة، ثم دفعته بكل قوتي، فسقط في النهر، وابتلعه الماء. وبالتأكيد فعلت هذا بعد أن ذهب إلى قصر اللورد وشتمه وسبه، وحتى يقال إن **"هويتفيلد"** قتله عقابًا له على ما لحقه من إهانات... وكذلك فعلت بذلك الصبي **"تومي بيرس"** فبعد أن طرده **"هويتفيلد"** من الخدمة في قصره اقترحت عليه أن يعينه فراشًا في المكتبة فوافق على الفور لما طبع عليه من طيبة القلب... وعهدت إلى **"تومي"** بتنظيف إحدى نوافذ الطابق العلوي، ثم صعدت إليه بعد برهة لأتبين ما يفعل. ووقفت أتحدث إليه وهو آمن مطمئن ثم غافلته ودفعته من فوق حافة النافذة، فهوى من أعلى إلى أرض الحديقة جثة هامدة.

– ولكن ما الذي جعلك تقتلين السيدة **"بنكرتون"**..؟

– آه! السيدة **"بنكرتون"** عليها اللعنة..! إنها هي التي كشفت سري، فكان لابد أن تموت... لقد رأتني أنظر إلى السيدة **"هورتون"** نظرة أدركت منها على الفور أني أنوي قتلها، فقد قالت لي ضاحكة: "إن نظرتك الآن إلى السيدة **"هورتون"** تذكر المرء بنظرة الفهد وهو ينقض على فريسته".. وحدث مرة أخرى أن رأت في عيني نفس النظرة وأنا أتطلع إلى الدكتور **"هامبلباي"**، فأعادت عليّ نفس العبارة، ووصفت نظرتي إليه بأنها شبيهة بنظرة الفهد وهو

يلتهم الطريدة. وأدركت من هذا أن شبهاتها بدأت تتجه إليّ.. وتيقنت من الأمر حين عرفت أنها قررت أن تسافر إلى "**لندن**"، فعهدي بها أنها لم تغادر القرية في حياتها.

وتابعت الآنسة "**وينفليت**" الحديث بقولها:

- وتابعتها إلى "**لندن**" وركبت معها نفس القطار، بعد أن تنكرت، فوضعت على رأسي باروكة شقراء، ولبست نظارة سوداء ولففت عنقي بوشاح غطى جزءاً من وجهي. وحين نزلت من القطار، اقتفيت خطواتها، ولما رأيت أنها تسير في الطريق المؤدي إلى "**اسكتلانديارد**" قررت أن أقتلها.

وسألتها "**بريدجيت**":

- ولكن كيف قتلتها..؟ هل استأجرت سيارة ودهمتها بها؟

- كلا.. كان الأمر أسهل من هذا بكثير.

وضحكت الآنسة "**وينفليت**" ضحكة شيطانية وقالت:

- حين نزلت من الإفريز إلى قارعة الشارع رأيت سيارة مقبلة بسرعة، فتظاهرت بأنني أريد أن أحول دونها وعبور الطريق، وأنني أريد أن أجذبها إلى الوراء، ولكن الحقيقة أنني دفعتها تحت عجلات السيارة فماتت لساعتها.

فقالت "**بريدجيت**" في استغراب:

- أكانت السيارة من طراز الـ"**رولز رويس** "؟ أي من نفس طراز سيارة اللورد "**هويتفيلد**"؟

- بل كانت السيارة من طراز آخر.

فقالت "**بريدجيت**" وقد استبدت بها الدهشة:

- إذن كيف تقدمت إحدى السيدات فشهدت أن رقم السيارة هو رقم سيارة اللورد "**هويتفيلد**" الـ"**رولز رويس** "؟

فاغرقت الآنسة "**وينفليت**" في الضحك، وقالت:

– كان هذا أيضًا من تدبيري.. لقد شاهدت إحدى السيدات حادث المصادمة عند وقوعه، وفي مثل هذه اللحظات يكون الإنسان في حالة ذهول، فلما قلت لهذه السيدة إن السيارة من طراز الـ"**رولز رويس** " وافقت على الفور. ولما ذكرت لها رقم سيارة "**هويتفيلد**" وقلت إنه رقم السيارة التي صدمت المرأة المسكينة صدقتني، ومضت في الحال إلى الشرطي تدلي إليه بأوصاف السيارة ورقمها، مع أن الواقع هو أن شهادتها كلها كانت من وحي خيالي.

فقالت "**بريدجيت**":

– إنك شيطان في صورة إنسان.

فقالت الآنسة "**وينفليت**" في زهو وفخار:

– ولهذا عرفت كيف أثأر لنفسي، ومصير "**هويتفيلد**" لابد أن يكون إما الإعدام شنقًا، وإما إيداعه مستشفى الأمراض العقلية.

واستطردت الآنسة "**وينفليت**" تقول:

– لقد كان من حسن حظي أن استطعت أن أقنع "**لوك فيتز ويليام**" بأن اللورد "**هويتفيلد**" هو الجاني، فقد حدث أن حضر "**لوك**" شجاراً بين "**جوردون**" وسائقه "**ريفرز**".. وفي صباح اليوم التالي وجد "**ريفرز**" قتيلا، فوقع في روع "**لوك**" أن "**جوردون**" هو القاتل.

– ولكن ما الذي جعل "**هويتفيلد**" يكرر أمام "**لوك**" أن كل من يعاديه قد قتل، وكل من يخاصمه لابد أن يهلك؟ إن هذه العبارات هي التي جعلت "**لوك**" يعتقد أن "**جوردون**" هو القاتل فعلا.

وأطلقت الآنسة "**وينفليت**" ضحكتها الشيطانية وقالت:

– لقد جعلته يعتقد أنه قديس، وأن كل من يناصبه العداء لابد أن يقضي نحبه في خلال أيام.

– وهل صدقك "**جوردون**"؟

– بالتأكيد صدقني.. خاصة بعد أن لاحظ أن كل من عاداه قد مات، فأنا بالتأكيد كنت أقوم بالقتل.

وفركت الآنسة "**وينفليت**" يديها في فرح وابتهاج، وعيناها تبرقان كأن فيهما جذوة من نار ثم قالت:

– والآن جاءت النهاية.. سأجز رقبتك بهذا الخنجر، وتنسب الجريمة إلى "**جوردون**"، والدافع هو نقمته عليك؛ لأنك فسخت الخطبة.

ونهضت الآنسة "**وينفليت**" واقفة، وشهرت الخنجر في يدها، ودنت من "**بريدجيت**" وعيناها تقدحان شررًا. وبكل ما لديها من قوة، وبكل ما لها من شباب متقد وثبت "**بريدجيت**" وثبة الفهد الهائج، وانقضت على المرأة الأخرى في وحشية، وقبضت على رسغها الأيمن، وردتها خطوة إلى الوراء.

ذهلت الآنسة "**وينفليت**"، وأخذتها المباغتة غير المتوقعة، ولكنها ما لبثت أن تماسكت، ودار بين المرأتين نضال عنيف.

وقعتا على الأرض، فوثبتا واقفتين، ومضتا تتماسكان وتتدافعان.

كان لـ"**بريدجيت**" شبابها، وكان للآنسة "**وينفليت**" جنونها، والنضال بينهما صار محمومًا، وطار الخنجر من يد الآنسة "**وينفليت**"، وسقط بعيدًا عنهما.

وأخيرًا استطاعت الآنسة "**وينفليت**" أن تتغلب على غريمتها، وأن تطرحها أرضًا. ثم جثمت على صدرها وامتدت أصابعها تلمس عنقها حتى أخذت بخناقها. وصرخت "**بريدجيت**" مستنجدة.. صرخت بكل قوتها، صرخت مرة بعد مرة.. ولكن من الذي يمكن أن يخف إلى نجدتها وهي هنا في جوف الغابة؟ وعادت تصرخ، وتصرخ وأصابع القاتلة تضيق حول رقبتها، وتضغط، وتضغط.

أما الصرخة الأخيرة فقد ماتت في حلقها تحت ضغط الأصابع الخانقة.

- 22 -

كان "**لوك**" معجبًا بالمفتش "**باتل**" فقد كان المفتش معروفًا بالاتزان والذكاء وحصافة الرأي. وتبادل الرجلان التحية، ثم قال "**باتل**" :

– لقد جئت معي بالضابط "**جاكسون**"، وعهدت إليه بمراقبة اللورد "**هويتفيلد**" .

فقال "**فيتز ويليام**" :

– حسنًا فعلت، فقد يكتشف أن رجال "**اسكتلانديارد**" في أعقابه فيبادر إلى الفرار.

– ولكن أموقن أنت أن اللورد "**هويتفيلد**" هو طريدتك المنشودة؟

– كل اليقين... وحسبي أنه ردد أمامي عبارات تكاد تكون اعترافًا صريحًا.

وهم "**لوك**" بأن يسرد على المفتش "**باتل**" تفاصيل الأحداث لولا أن بادره هذا بقوله:

– لا داعي لذلك، فقد روى لي السيد "**ويليام**" كل التفاصيل.

– حسبي إذن أن أقص عليك الأحداث الأخيرة التي جرت بعد مقابلتي للسيد "**ويليام**" . وحين فرغ من روايته ساله "**باتل**" :

– قلت إنه كان في هذا الصباح ممسكًا بالخنجر المراكشي، فهل لوح به بطريقة توحي بالتهديد؟

– لا، ولكنه كان يتحسس النصل المرهف بطريقة تدل على الإعجاب الجنوني.

واستطرد المفتش "**باتل**" قائلا في ثقة:

– أعتقد أنه في وسعك يا سيد "**فيتز ويليام**" أن تطمئن إلى سلامة الآنسة "**كونواي**" ، فسآمر احد رجالي بأن يتولى حراستها، وفي الوقت ذاته سيكون "**جاكسون**" دائمًا في أعقاب اللورد.

وسأله "**لوك**" :

– أتراك في حاجة إليّ الآن؟

فأجاب "**باتل**" :

– لا . . ولكني سأحتاج بالتأكيد إلى معونتك فيما بعد .

وتطلع "**لوك**" في ساعته ثم قال:

– حسنًا . . سأذهب الآن إلى مقابلة "**بريدجيت**" ، فما تزال أمامي فسحة من الوقت قبل موعد الغداء .

وتصافح الرجلان . ومضى "**لوك**" إلى بيت الآنسة "**وينفليت**" وقبل أن يشرف "**لوك**" على بيت الآنسة "**وينفليت**" بعشرات من الأمتار لمح السيدة "**هامبلباي**" قادمة على نفس الإفريز . وما إن رأته حتى أقبلت عليه تصافحه في حرارة . وقالت :

– لقد ظننت أنك رجعت إلى "**لندن**" .

فأجاب :

– لا . . كل ما هنالك أنني غادرت قصر اللورد "**هويتفيلد**" ، ونزلت في فندق "**الأجراس**" .

وسألته :

– و"**بريدجيت**" ؟ لقد بلغني أنها غادرت القصر .

فأومأ "**لوك**" إيجاباً ، فقالت السيدة "**هامبلباي**" .

– إنني سعيدة بأنها تركت القرية .

فقال :

– ولكنها لم تتركها . . إنها مقيمة مؤقتًا في بيت الآنسة "**وينفليت**" .

وما إن سمعت السيدة "**هامبلباي**" هذا الرد حتى هتفت :

– مقيمة عند الآنسة "**وينفليت**" ؟ ولكن لماذا؟

وأخذتها رعدة خفيفة، واستطردت:

- السيد "**فيتز ويليام**"..! أتوسل إليك أن تطلب إليها مغادرة هذا البيت في الحال.. إن هذه المرأة.. الآنسة "**وينفليت**".. امرأة شريرة.. إن لها نظرة قاتلة، من ترميه بها لابد أن يموت.

وعند هذه الكلمات ذكر "**لوك**" ما سبق أن حدثته به السيدة "**بنكرتون**" حين التقت به في القطار. لقد قالت له: إن في القرية شخصًا له "نظرة قاتلة" تقتل كل من تستقر عليه.

المرأتان ترددان نفس الكلمات.. السيدة "**بنكرتون**" أولا ثم السيدة "**هامبلباي**" الآن. واستطردت:

- ولست أنا وحدي التي تقول هذا.. إن السيدة "**بنكرتون**" هي الأخرى تعرف ذلك... فقال لها "**لوك**" في اقتضاب:

- اطمئني.. سأعمل بما تنصحين.

وأسرع الخطى متجهًا إلى بيت الآنسة "**وينفليت**".

لقد قالت له السيدة "**بنكرتون**" في القطار، ثم السيدة "**هامبلباي**" الآن.. إن في القرية شخصًا له عين شريرة.

إن السيدة "**بنكرتون**" لم تقل قط إن هذا "الشخص" رجل، وإنما هو الذي وقع في روعه أنه رجل، فاتجه بشبهاته إلى الساحر المجنون "**الزويرثي**" ثم إلى اللورد "**هويتفيلد**" مع أن كلمة "شخص" تنطبق على الرجل والمرأة على السواء.

كان هناك صوت خفي يهيب بـ"**لوك**" من أعماق قلبه "أسرع.. أسرع.. فإن الآنسة "**وينفليت**" هي السفاحة الخفية، فلو أنك تأخرت لقتلت حبيبتك "**بريدجيت**"" وطرق "**لوك**" باب الآنسة "**وينفليت**" بشدة.

وأقبلت الوصيفة تجري. وتطلعت إليه في ذهول، وفي لهفة سألها عن

"**بريدجيت**" . وأجابت :

– لقد أخبرتني الآنسة "**وينفليت**" أن الآنسة خرجت . . لحظة واحدة حتى أستدعي سيدتي .

ورجعت إليه بعد لحظات تقول :

– لقد خرجت السيدة أيضاً، فإني لم أجدها .

وسألها :

– وأين ذهبتا؟

– لا أدري يا سيدي .

– وفي أي طريق سارتا؟

– لو أنهما خرجتا من الباب الأمامي لرأيتهما فقد كنت في الردهة، فلابد أنهما خرجتا من الباب الخلفي، وهذا الباب لا يؤدي إلا إلى طريق الغابة .

وانطلق يجري إلى الغابة، والخوف آخذ منه .

ورأى فلاحاً يحرث أرضه، فأقبل عليه يسأله :

– ألم ترَ سيدتين منذ فترة وجيزة . . ؟

وأجابه الفلاح :

– نعم . . إنها سيدة عجوز وسيدة شابة . . لقد دخلتا الغابة من هذا الممر .

وطار إلى داخل الغابة، وهو يكاد يجن .

إنه لا يسمع صوتاً، فهل ظفرت هذه القاتلة المجنونة بـ"**بريدجيت**" ، وفتكت بها؟

سار هنا وهناك . . وعيناه تدوران في كل مكان، وسمعه مرهف يتنسم صوتاً أو حركة .

وأخيراً سمع الصرخة المدوية . . صرخة الاستنجاد .

– النجدة . . ! النجدة!

ووثب قافزاً وسط الأشجار المتكاثفة .

ولمح "**بريدجيت**" طريحة على الأرض، والآنسة "**وينفليت**" جاثمة فوق صدرها، وأصابعها حول عنقها، وهي تحاول أن تخنقها.

وبعد صراع قصير استطاع أن يخلي الأصابع عن عنق "**بريدجيت**". ولكم الآنسة "**وينفليت**" بكل قوته لكمة أفقدتها الرشد وطرحتها أرضًا.

- 23 -

قال المفتش "**باتل**" يشرح للورد "**هويتفيلد**" حقيقة الموقف:

– لقد ثبت لنا من التحريات التي قمنا بها أن الجنون وراثي في أسرة "**وينفليت**"، وبحكم رابطة الدم انتقل الخبل إلى الآنسة "**وينفليت**" ومما زادها جنونًا الصدمات التي نزلت بها، وكانت الصدمة الأولى هي ضياع ثروة الأسرة، أما الصدمة الثانية فكانت فشلها في الحب حين فسخت أنت الخطبة.

وقالت "**بريدجيت**" تسأل اللورد:

– أرجو يا "**جوردون**" أن تكشف لنا عن السبب في فسخ هذه الخطبة.

وأجاب اللورد:

– كان لدى "**هونوريا وينفليت**" عصفور كناريا تحبه وتولع به، وقد اعتادت أن يلتقط من بين شفتيها فتات السكر. وحدث يومًا وهو يتناول السكر أن نقرها، فما كان منها إلا أن أمسكته في وحشية، وقصمت رقبته. وكان مشهداً بشعًا لم تحتمله أعصابي فبادرت على الفور إلى فسخ خطبتها.

فقال "**باتل**":

– كانت هذه هي البداية، فمنذ هذه اللحظة وهي تفكر في الثأر منك، وخطر لها في أول الأمر أن تقتلك، ولكن موتك ما كان ليشفي غليلها، ولهذا استقر رأيها على أن تجعلك تتعذب وتقاسي، فقررت أن ترتكب عدداً من جرائم القتل، بحيث تتجه الشبهات إليك باعتبار أنك أنت القاتل.

وتدخلت "**بريدجيت**" في الحديث قائلة:

– وكانت من الدهاء بحيث أدخلت في روعك أنك قديس، فكل من يعاديك لابد أن يموت. وكان هدفها من ذلك أن تردد أنت في أحاديثك هذا المعنى، فيشتد الاشتباه في أنك القاتل.

وقال اللورد "**هويتفيلد**" مشدوهًا:

– إني لا أستطيع أن أصدق هذا!!

وساله المفتش "**باتل**":

– إنك قلت منذ قليل إنك تلقيت اليوم رسالة تليفونية؟

فقال "**هويتفيلد**":

– نعم... قبل الظهر اتصلت بي تليفونيًّا سيدة ذات صوت أجش مختنق، وطلبت إليّ أن أذهب في الحال إلى الغابة؛ لأن "**بريدجيت**" تريد أن تتحدث إليّ، وأنها ستكون في انتظاري بقرب الينبوع.

فقال "**باتل**":

– كانت في الواقع خطة محكمة، فالمرأة التي حدثتك هي الآنسة "**وينفليت**" نفسها، وكان غرضها أن يراك الناس جميعًا داخلا إلى الغابة، وبعدها سيعثرون على الآنسة "**بريدجيت كونواي**" وقد حزت رقبتها. وإلى جانبها خنجرك ملوثًا بالدماء، وعلى مقبضه بصمات أصابعك.. وبذلك تتحقق خطتها الجهنمية فتؤخذ أنت بجرائم لم تقترفها.

فغمغم اللورد:

– يا لها من شيطان!!

التفت "**فيتز ويليام**" إلى "**بريدجيت**" قائلاً:

– والآن حدثيني كيف خامرتك الشكوك في أن الآنسة "**وينفليت**" هي القاتلة الخفية، وليس اللورد "**هويتفيلد**"؟

وراحت "**بريدجيت كونواي**" تروي قصتها قائلة:

– كان ذلك عندما أخبرتني أنت أن اللورد "**هويتفيلد**" هو القاتل.. إنني أعرف "**جوردون**" جيداً، وقد عملت معه عامين وأعلم يقيناً أنه لا يؤذي فراشة، فكيف يقدم على قتل الناس "بالجملة" على هذه الصورة البشعة؟ ثم إنك ذكرت لي ما حدثتك به الآنسة "**وينفليت**" عن فسخ الخطبة بينهما، وأنها هي التي فسختها؛ لأن "**جوردون**" قصم عنق عصفور الكناريا. إنه لا يمارس حتى هواية الصيد لكيلا يقتل الطيور والحيوانات، فكيف إذن يقطع رقبة العصفور؟

وقلت لنفسي: لِمَ لا تكون هذه الرواية أكذوبة محضة..؟ لِمَ لا تكون الآنسة "**وينفليت**" هي نفسها التي دقت عنق الكناريا..؟ ولِمَ لا يكون "**جوردون**" هو الذي فسخ الخطبة؟ إذن فالآنسة "**وينفليت**" كاذبة في رواية هذه القصة. وساءلت نفسي: "ولكن لماذا تكذب؟"

إن الآنسة "**وينفليت**" من أسرة عريقة، و"**جوردون**" من أسرة وضيعة، ففسخ الخطبة إهانة بالغة لكبريائها. وهذه الإهانة تدفعها إلى الانتقام، والمرأة حين تجرح كرامتها تنقلب وحشاً ضارياً.

وقلت لنفسي: إنها هي التي جعلتك يا "**لوك**" تشتبه في اللورد "**هويتفيلد**" وتعتقد أنه هو القاتل، مع أنك كنت موقناً قبل ذلك– أشد اليقين– أن "**الزويرثي**" هو القاتل خاصة بعد أن رأيته عائداً من حديقة السحرة عند منتصف الليل ويداه ملطختان بالدم ثم عثورك على السائق "**ريفرز**" مقتولاً في نفس الليلة.

واستطردت "**بريدجيت**" تقول:

– نعم.. كانت هذه المرأة "**وينفليت**" هي التي جعلتك ترتاب في اللورد فقلت لنفسي: "ولم لا يكون هذا أيضاً حلقة جديدة في سلسلة الأكاذيب التي ترددها الآنسة "**وينفليت**".. أكذوبة جديدة تدعم بها الشبهات ضد "**جوردون**"".

واستعرضت الجرائم التي ارتكبتها.. كانت كلها سهلة من الهين عليها أن

تقترفها. فـ"**إيمي جيبس**" كانت تعمل وصيفة في بيتها عندما تناولت طلاء القبعات خطأ وماتت، فلا أسهل على الآنسة "**وينفليت**" من أن تدس لها الطلاء بدلا من شراب السعال. و"**تومي بيرس**" عندما سقط من فوق حافة النافذة إلى الحديقة وكان ينظف نافذة المكتبة التي تعمل الآنسة "**وينفليت**" أمينة لها، فمن السهل عليها أن تدفعه بيدها وهو في غفلة عنها. و"**كارتر**" أمره هين أيضًا، إذ يكفي أن تتعقبه في جوف الليل وهو عائد إلى داره مخموراً فتدفعه إلى النهر وهو يعبر الجسر. وكان سهلا عليها أيضًا أن تقتل السائق "**ريفرز**". أما الوحيد الذي لم أستطع أن ألتمس لمقتله تعليلا، فهو الدكتور "**هامبلباي**" ولكنني قلت لنفسي لعلها بريئة من قتله، ولعله فعلا مات متسمماً بالغرغرينة.

وصمتت "**بريدجيت**" برهة، ثم استطردت تقول:

– طافت كل هذه الخواطر في ذهني، متشابكة متداخلة، وأنا أسمعك تتهم اللورد "**هويتفيلد**". وساءلت نفسي إذا كان "**جوردون**" لم يرتكب شيئًا من هذه الجرائم فمن الذي اقترفها إذن..؟ وجاءني الجواب، لابد أن يكون القاتل شخصًا يحقد على "**جوردون**" حقداً شديداً، ويريد أن تتجه إليه الشبهات. ثم تساءلت: ومن يكون هذا الحاقد الذي يهمه أن يذهب "**جوردون**" إلى المشنقة..؟ كان الرد هو "**هونوريا وينفليت**"، ولا أحد سواها، فهي التي تحقد عليه لأنه نبذها، وفسخ خطبته لها كما سبق أن حدثني.

وتابعت "**بريدجيت**" الحديث بقولها:

– وعندئذ تذكرت ما رددته السيدة "**بنكرتون**" في حديثها، حين ألمحت إلى أن القاتل "رجل" له نظرة شريرة.. وهدم هذا التلميح شبهتي في الآنسة "**وينفليت**".

إذن فلا يمكن أن تكون الآنسة "**وينفليت**" هي مقترفة هذه الجرائم. غير أنني عدت أقول لنفسي وما يدريني أن السيدة "**بنكرتون**" قالت إن القاتل "رجل" له نظرة شريرة..؟ لعلها قالت إن القاتل "شخص" له نظرة شريرة. وكلمة "شخص"

تنطبق على المرأة والرجل على السواء، وعندئذ لم تعد تخامرني ذرة من الشك في أن الآنسة "**وينفليت**" هي السفاحة القاتلة ولهذا استقر رأيي على أن أحاول أن أوقع الآنسة "**وينفليت**" في المصيدة، وأن أضبطها متلبسة.

وسرت الرعدة في بدنها، استطردت تقول:

– يالله! كان الأمر رهيبًا يا "**لوك**".. كانت لها وهي تحاول قتلي ضحكة شيطانية. جعلت الدم يتجمد في عروقي.

فقال "**لوك**":

– أنا لا يمكن أن أنسى ما حدث.. لقد وصلت في اللحظة الأخيرة لأنقذك من يديها.. حين انقضضت عليها، كانت أصابعها القوية تحيط بعنقك، وأنا أحاول أن أزيحها عن صدرك وأن أفك أصابعها عن عنقك.. لقد كانت لها قوة شيطان هائج.. لقد منحها الجنون والهياج قوة لا تقاوم.

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

الرقم	العنوان
1	ابنة الفراعنة
2	جريمة الفندق
3	أخطاء القضاء
4	أدلة الجريمة
5	الإرث الدامي
6	أصابع الاتهام
7	امرأة خطرة
8	بيت الأحلام
9	بواعث الجريمة
10	بيت الأهوال
11	التضحية الكبرى
12	الضحية
13	الجثة التي اختفت
14	الجثة الثانية
15	جثة في المكتبة
16	الجريمة الأخيرة
17	جريمة أم
18	جريمة فنية
19	جريمة بلا شهود
20	الجريمة تدق الباب
21	اللغز المثير
22	جريمة عائلية
23	جريمة على ضفاف النيل
24	الجرائم الثلاث
25	جريمة في بيت الطالبات
26	جريمة في الجو
27	جريمة في الصحراء
28	جريمة في قطار الشرق
29	جريمة قتل
30	الجريمة الكاملة
31	امرأة في مأزق
32	الجريمة المستحيلة
33	الجريمة المعقَّدة
34	الشاهدة الوحيدة
35	جزيرة الموت
36	جنون الانتقام
37	الحادث
38	الحب الذي قتل
39	الرجل الرابع
40	ذات القناع الأسود
41	ذات الوجهين
42	رجل بلا وجه
43	غانية باريس
44	رصاصة في الرأس

45 رعب في المدينة
46 الزائر الغامض
47 ساعة الصفر
48 السر الرهيب
49 ساحر النساء
50 سر القصر الكبير
51 سر المنبِّهات السبعة
52 سيدة القصر
53 شاهد للتحقيق
54 الشاهد الصامت
55 نقطة الدم
56 الشبح القاتل
57 شرخ في المرآة
58 الشيطان امرأة
59 إخناتون
60 الطائر الجريح
61 الطائرة المفقودة
62 الطيور السوداء
63 عدو بلا وجه
64 العميل السّري
65 العنكبوت
66 الفخ
67 القاتل الرابع
68 القاتل الغامض
69 القاتل والمقتول
70 قاتل المليونير
71 القصاص
72 القصر الرهيب
73 القضية الكبرى
74 الكأس الأخيرة
75 كلب الموت
76 ليل ليس له آخر
77 مأساة ذات ثلاثة فصول
78 الماضي الرهيب
79 المتهم البريء
80 المتهمة البريئة
81 المصيدة
82 مغامرات بوارو
83 الثعلب
84 الموت المقنع
85 موعد في بغداد
86 موعد مع الموت
87 نادي الجريمة
88 الوصية المفقودة
89 الجريمة المزدوجة
90 الياقوتة الحمراء
91 جريمة بلا شك
92 غريم بوارو
93 وجه من الماضي
94 خاتمة المأساة
95 الحصان الشاحب